روايات للشباب

لص الفضاء

1

حين تغدو اللصوصية ،
هي السبيل لعالم أفضل !

من أجل الأرض!

بقلم:
محمد إبراهيم

روايات للشباب

لص الفضاء

حين تغدو اللصوصية ،

هي السبيل لعالم أفضل !

الغلاف : محمد محمود

إشراف عام :

محمد سامي

التصحيح اللغوي:

ابتهال إبراهيم

الناشر :دار ليلى للنشر و الإعلان-44 ش عبدالله ابو السعود-مصر الجديدة-
هاتف:0123885295- www.darlila.com - info@darlila.com

رقم الإيداع :2005/14185

1

روايات للشباب

لص الفضاء

من أجل الأرض!

المقدمة

القرن الثلاثون كبداية..

واكتشاف المجرة (هيرموسيس) التي تبعد عن الأرض آلاف السنوات الضوئيّة.

فبعد إنفجار القنبلة (البتروجيونية) إنقسمت الحياة على الأرض إلى قسمين، عالم سفلي ملئ بالمشوّهين والعَجَزة،تحكمه الطبيعة و التمرد البشريّ،وعالم آخر تحكمه الآلات المُسيطرة،التي يحركها مجموعة من الصفوة المُنتقاة والناجية بعد الإنفجار الرهيب..وقتها أصبح الحدث الجلل هو اكتشاف المجرة (هيرموسيس) بما تحتويه من كواكب وكنوز أثارت لُبّ وخيال أصحاب النفوذ ، فبدأت الرحلات المُنتظمة لتفقد المجرة ، وكان أقصى ما يطمح إليه السادة هو اكتشاف كوكب بديل للأرض،إلا أنهم لم يستطيعوا الهبوط على أي كوكب في المجرة، فإكتفوا بالعيّنات والمعادن التي وجدوها في النيازك التي تجوب المجرة،وكان كل شئ يدل على عدم وجود أي أثر للحياة عليها.

و برز أحد المُشوّهين ليكون أعجوبة .. قزم يُدعى (طارق حجّاج)، طوله أقل من نصف المتر ، عيناه واسعتان متألقتان بشكل لافت للإنتباه ، رأسه صلعاء تتناثر بها نتف من الشعر الخفيف ، شفتاه مكتنزتان عندما تسمعه يتكلم لا تستطيع أن تقول أن شفتيه تحركتا ، ذكاؤه يفوق كل الحدود - ربما كان السبب هو الإشعاع الذري –وكان لحياته أسلوب عجيب ، ربما بسبب نفوره من البشر أو لأنه شعر إنه مختلف عن الجميع ..

لذا كوّن مجموعة غريبة من المُشوّهين وعالم الأرض السُفلي،مجموعة تخصصت في أغرب الأشياء .. السرقة لأغراض سامية !..

مبدأ عجيب..لكنه ناجح .. فأصبح اللص الوحيد الذي له مُعجبين من البشر ..

لِص الفضاء !

(1)

كان الغبار يُسيطر على تلك المنطقة والأعاصير لا تهدأ ، العواصف تجتاح المدينة المسترخية تحت ثوب الظلام ، وفي هذا الوقت كانت هناك مجموعة من النشطاء تدور حول مركز العلوم الأرضية، وتترصد الفرصة لاقتحامه .. مجموعة غريبة مُكوّنة من خمسة أفراد- لو أستطعنا أن نُطلق على تلك الكتل اسم أفراد ! -

تحركت إحدى الكتل مُبتعدةً عن الآخرين وأطلقت صفيراً مُنغّمًا هادئًا ، فإنفصلت بقيّة الكتل عن بعضها البعض وتحركوا فرادى ، بينما ظلّت نصف كتلة واقفة لا تتحرك وإنما كانت تشير بيدها إلى الآخرين ، أجهزة الرصد الحراري تدور في المكان وكاميرات المراقبة تُسجل كل تحرك خارج مركز العلوم ، وداخل المركز كان الجميع في حالة استرخاء تام .. فقد جلس المراقب أمام شاشات التلفاز وقد أغمض عيْنيه نصف إغماضة وراح يحتسي كوبًا من الشاي الساخن ، بينما إنشغل زملاؤه في لعب الورق ، والجميع يحلم بقضاء سهرة ممتعة داخل ذلك المركز المُخصص لمُتابعة الرحلات إلى المجرة (هيرموسيس) بعد أن عادت إحدى هذه الرحلات منذ ساعات إلى الأرض ، وانشغل الجميع لساعات طويلة في دراسة العيّنات الجديدة التي جُلبتْ إلى الأرض والتي تدل على أن هناك أثرٌ للحياة على أحد كواكب المجرة (هيرموسيس)، ولم يكن أحد يتصور أن أخبارًا تسربت إلى الخارج ، وأن ثمة أحدٍ يُعّد العُدة الآن للإستيلاء على تلك العيّنات ، لذا كان أفراد المركز مسترخيّين بعد يوم شاق قضوه في فحص العيّنات التي أعطت نتائج مدهشة ربما يكون لها تأثير كبير على مصير الأرض ..وكانت النتائج طيبة ، وذلك أيضًا تسرّب للخارج .. حيث كانت مجموعة الكُتل البشرية تستعد لإقتحام المركز الآن ، وبالفعل كان هناك اثنيْن من أفراد المجموعة قد تسللا للداخل

وراحا يزرعان الأجهزة الإلكترونية الدقيقة على أبواب المعامل ..

بدأت الأجهزة عملها ، بينما قامت الكتلتان الأخريتان ببث جهازين في الجو عن طريق إطلاقهما من ماسورتيْن تشبهان فوّهة بندقية الصيد .. وعندما استقر الجهازان على بعد ستة أمتار ، إنطلق منهما سيْل من الأشعة وتكونت صورة طبق الأصل من المكان ، صورة سينمائية فائقة الدقة ، ووقف الأخير يُراقب الموقف وعلى شفتيه إبتسامة هادئة رائقة .. وأتت الإشارة بالإقتحام ..

كل شئ كان يتم بهدوء يدعو للدهشة والإعجاب معًا ، فقد كانت الخطة رغم بساطتها ناجحة .. بل ورائعة أيضًا ، كانت التعليمات تصدر من القصير كل دقيقة ، فتتحرك الكُتل الأربع في دقة متناهية ، وكان حادث السرقة يتم تحت سمع وبصر المُراقبين ولا أحد يتحرك ، ومرّت ثلاث دقائق قبل أن يتلقى (طارق) أول إتصال هاتفي ، كانت (مروة) هي التي تتكلم ، لتبلغه أنها لم تعثر على العينات في المعمل الأول ، أمرها بأن تنتقل إلى الجهة الأخرى لتساعد (سعد) على اقتحام المعمل الثالث ، فالثاني أيضًا كان فارغًا بينما نقل أمره إلى (راجح) و (رأفت) ليتحركا.

وراح (راجح) يضغط بيده على جانبيه فتخلص من تلك الكتلة العجيبة الوهمية التي كانت تحيط به وتجعله يبدو ككرة من القش تجمعت حول نفسها.. وفرد جسده وهو يتأوه قائلاً :

ـ يا للعنة!.. تلك الكرة كادت أن تطحن جسدي .

رد (رأفت) وقد تخلص هو الآخر من رداءه الغريب :

ـ لك كل الحق، ولكنها وسيلة مدهشة فعلاً للتنكر وبسيطة جدًا.

قال (راجح) ببساطة :

ـ لذلك إنضممتُ إليكم ، فالزعيم أفكاره دائمًا رائعة ، ولكنني أتساءل هل إنتهت المهمة ؟.

قال (رأفت) ضاحكًا:
ـ لا بد أنها انتهت ، فقد تلقيت الآن إشارة الإنسحاب .. هيا بنا .
تحركا بسرعة مُدهشة إلى النقطة (ج) مكان الإلتقاء ، وأدار (راجح) مُحرّك السيارة واستعد لإستقبال الجميع، و لم تمر دقائق خمس حتى كان كل من (مروة) و (سعد) قد إنضم إلى الجمع ، بينما تأخر (طارق) !..
أدار (رأفت) عيْنيه بين أفراد المجموعة قائلاً في قلق :
ـ لقد تأخر هذه المرة كثيرًا!..
غمغمت (مروة) دون أن يظهر عليها أي بادرة قلق :
ـ إنه يعطي اللمسات النهائية للعملية .
قال (راجح) :
ـ ولكنه تأخر فعلاً ولم يسبق له أن تأخر إلى هذه الدرجة !.. فلقد مرت سبع دقائق منذ وصول آخرنا ، وذلك سبب يدعو للقلق !.
همست (مروة) :
ـ نحن نثق به.. لا تقلق لأي شئ ، سيأتي حالاً .
ولم تكد تنهي جملتها حتى كان (طارق) يحتل المقعد المجاور لـ (راجح) ويشير إليه بالتحرك ..
وفي ثوانٍ غادرت السيارة المكان تاركة خلفها الموقع وأجراس الإنذار تنطلق فيه بلا توقف ، والمراقبون يتحركون في كل مكان ..
الأجراس تدق ولا أثر لأي أحد أقتحم المكان ، ولكن ما أصابهم بالحَنق والغيظ هو إختفاء عيّنات مجرة (هيرموسيس)!..
ذلك يعني أن أبحاثهم ستتأجل كثيرًا..
كثيرًا جدًا.

***

أسترخى (طارق) على مقعده داخل المركز السرّي الذي يقبع بباطن الأرض، حيثُ يستقر مُعظم المُشوّهين ، بينما استقر البعض الآخر منهم داخل قصور السادة الحُكام كخدم ..

كانت أمامه مجموعة هائلة من أجهزة الرصد والكمبيوتر تنقل معظم ما يجري في العالم فوق سطح الأرض ، معظم هذه الأجهزة سرقها بنفسه قبل أن يُكوّن مجموعته المُتخصصة في سرقة الكواكب ..

وكان ما ينقصه بالفعل هو مركبة فضاء ..

لقد أعدّ الكثير من الخطط للاستيلاء على إحداها، ولكنه لم يفز إلى الآن بأيٍّ منها ، لذا كان رغم انتصاره الأخير شاعرًا بالغيظ ، كانت ملامح وجهه لا تشي بما يدور بداخله من إنفعالات شتى ، فهو دائمًا هادئ وقور رزين حتى أثناء عملياته الغريبة والعجيبة بالفعل ..

لذا فقد تركه الجميع فيما هو فيه ..

راحت(مروة) تعدّ العينات التي جلبوها للدراسة، فهي المُتخصصة في دراسة أي عيّنات جديدة يتم سرقتها، وهي من تُحدّد ضرورة الاحتفاظ بها أو التخلّص منها نهائيًا،بينما إنسحب(راجح) إلى خارج الغرفة حيث المجموعة الميكانيكيّة وأجهزة التعقب ،لأنه المسئول الأول عن صيانة السيارات ومتابعة عمل الأجهزة ..

بينما ظل(رأفت) في حصنه المنيع الذي يعزل نفسه فيه عن الجميع،حيث كانت غرفته هي ملاذه الأخير الذي يستقر فيه بعد كل عملية لدراسة كيفية الاستفادة مما سرق ، وقد كان حانقًا على السادة بشدة ، ويرغب دائمًا في أن يحكم المُشوّهون أنفسهم بأنفسهم لذا كان دائم الصمت يحيط نفسه بغلاف من الوقار المصطنع .

بينما كان (سعدًا) راض عما حدث له مقتنع بأنه قدره وقضاء الله " عزّ

وجلّ " ولا سبيل لرد قضاءه مهما حدث .

مجموعة غريبة من الأفراد كانت بشرًا في يوم من الأيام ، ولكن التحوّل السريع بسبب الإشعاع سبّب لهم الكثير من الأضرار..

(طارق) وُلد مُشوّهًا ، قصير إلى درجة مدهشة ، رأسه ضخم بشكل مُلفِت، و(مروة) متوسطة الطول لكن لها ثلاثة أيدي ، إحداهم أقصر وأقوى تُخفيها دائمًا تحت ملابسها وقد عقدتها حول خصرها بحزام عريض، بينما (راجح) وُلد دون أذنين، فبدا شكله مفزعًا لدرجة رهيبة.. الوحيد الذي يعتبر نفسه من المُشوّهين وليس كذلك هو (رأفت)!.. حانق هو على ما يجرى ، وكارهٌ له ، لذا إنضم لتلك المجموعة الغريبة .

أغربهم هو (سعد).. يمتلك عقل جبار يؤهله أن يحكم العالم، ولكنه كما قلنا سابقًا راضٍ ، رغم إنه ولد كذلك مُشوّهًا كبير الرأس وإحدى ساقيه أكبر من الأخرى .

نعود إلى (طارق) الذي بدأ عقله يُفكّر في خطة جديدة للفوز بمركبة الفضاء (صقر) ، فقد عدّدت الصحف والإذاعات مُميّزاتها و قوتها وسرعتها التي تفوق أي سرعة لمركبة أخرى، وكذلك عن معدنها النادر الذي صُنِعت منه والذي أتى من المجرة (هيرموسيس) ..

كان عقله يُتابع كل ذلك بشغف .. فهذه المركبة هي ما يريده تمامًا ، ولن تمنعه أي قوة في العالم من الاستيلاء عليها ..

راح يتابع عملية إنطلاق (المركبة صقر) والصور الخرائط التي تنقلها المركبة إلى الأرض ، ستصل المركبة إلى الأرض بعد أسبوع ستكون خلالها قد جمعت عيّنات عشوائيّة من كواكب المجرة (هيرموسيس) وستكون على أهُبّة الاستعداد لقضاء رحلة أخرى.

لذا عليه أن يكون في استقبالها ويكون طاقمه هو الذي على متنها ، وليس

أي طاقم آخر ، لذلك عليه أن يضع خطة ناجحة للفوز بها .. ولكن كيف ؟ .. كيف ؟

راح السؤال يتردد في عقله إلى ما لانهاية دون إجابة ، وفي هذه اللحظة دخلت (مروة)مُسرعة وعلى شفتيها ابتسامة عذبة مرسومة بدقة وهي تقول:

- لقد توصلت إلى نتيجة مُدهشة..المجرة (هيرموسيس) تحوي حياة.

أرجعه حديثها إلى عالمه السفلي وبعيدًا عن شرور أفكاره قال :

- أي حياة تقصدين ؟

قالت دون أن تلتقط أنفاسها :

- حياة أكثر من رائعة.. العيّنات تحتوي على خلايا حيّة تُفكر وتتحرك في دقة مدهشة ..كائنات أشبه بالجراثيم ولكنها غير مضرة .

قال وعيناه تتسعان :

- وكيف عرفتِ أنها غير مؤذية ؟.

قالت في لهفة :

- لأنها لا تحتل أجسادًا أخرى .. فحينما حقنت بها فئران تجاربي ورحت أتابع تصرفها، وجدتها تتخلص من خلايا الفئران بسرعة مدهشة، وتتجمع حول نفسها مرة أخرى لتكون جسمًا دقيقًا غاية الدقة، مُتجانسًا غاية التجانس، وعندما حاولت أن أحقن الفأر مرة أخرى، تجمّعت في سن الأبرة وكوّنت سدًا منع انسلالها إلى الخارج..إنها حياة كاملة رافضة للاحتلال..حياة ميكروسكوبيّة رائعة.

قال وعيناه لا تُفارقان عيْنيها الواسعتيْن :

- يجب أن نتأكد أولاً مما تقولين .

قالت في غضب :

- ألا تثق في تحليلي ؟؟.. لقد أجريت تجاربي أكثر من مرة حتى تأكدت..

قال بهدوء وثقة :

- بالطبع أثق بكِ وإلاّ ما ضممتك إلى مجموعتي، ولكنني مندهش بالفعل، لذا فالنتريّث قليلاً حتى نتأكد مما تقولين .

قالت ولم يزايلها الغضب بعد :

- وكيف نتأكد ؟

قاطعهم صوت (سعد) قائلاً :

- نعم.. هكذا يكون السؤال :

- كيف نتأكد ؟ .. سأقول لكما .

قال (طارق) بتؤدة :

- أهلاً (سعد) أسمعتَ ما قالت ؟

أجاب (سعد) وعيناه تُفكّران- نعم لم تقرأ خطأ .. فقد كان بداخل رأسه عقليْن الكترونيّين دقيقيْن ، تم زرعهما داخل العقل في إطار تجربة غير آدميّة، أحدهما يختزن المعلومات ، وينقلها إلى الآخر لتحليلها..

لذا كانت أجابته مُقنعة لهم وهو يقول :

- نعم سمعت ولديّ الحل .. وهو أبسط ما يكون.. سنحقن أحدنا بتلك الكائنات.. فإذا تخلصت من أجسادنا، كان ما قالته (مروة) صحيح.. وإلا فالعكس وتصبح كارثة أخرى .

قال (طارق) وهو يفكر فيما سمع :

- ولكن مَنْ مِنا سيسمح بأن يكون جسده محطة لتجاربنا عليه ؟

قالت (مروة) بسرعة :

- لنعقد اجتماعًا حالاً ونعرض الأمر على الجميع .. فإذا تطوع أحدنا حسنًا كان ، وإلا فلنجرب شيئًا آخر .. وليكن ما يكون .

قال (طارق) :

- سأفكر في الأمر وعندما أصل إلى شئ ، سأدعو الجميع إلى الاجتماع.. والآن إنصرفا .

غادرا الغرفة بينما ظل (طارق) جالسًا يُفكّر،أي فردٍ من المجموعة يصلح لهذا الأمر ؟..

و إزداد عقله إشتعالاً .

***

في ذلك الوقت ، كانت الأمور قد تعقدت كثيرًا داخل مركز العلوم الأرضيّة،بعد سرقة عينات التربة المجلوبة من مجرة(هيرموسيس)، وبات القلق على الوجوه ورجال المركز يتحركون في كل إتجاه بحثًا على أي دليل قد يقودهم إلى السارق .

كان من المستحيل عمليًا أن تتم سرقة المعمل دون أن يشعر أحد بشئ، ولكن ذلك ما حدث بالفعل ، لذا كان الجميع في حالة من القلق الشديد فربما كانت تحمل العينات ميكروبًا جديدًا ، وربما أدت سرقتها إلى داهية هُم في غِنًا عنها.

تنهد الدكتور (جوهر) في قلق وهو يقول :

- لقد خسرنا كثيرًا بالفعل بإختفاء تلك العينة .

راحت (سوزان) تتحرك في عصبية شديدة ، وهي ترقب الجمع الذي يتحرك في كل اتجاه بحثًا عن أثر أو دليل ، وانتبهت لعبارة الدكتور (جوهر) فقالت ساخطة :

- نعم خسرنا .. فالتحليلات الأوليّة كانت تؤكد أن العيّنة تحمل كنزًا لنا بل تحمل سرّ حياةٍ كاملة .

قال (جوهر) دون أن يرفع عينيه إليها :

- نعم هذا صحيح .. والرئاسة كانت مُهتمة جدًا بهذا الموضوع.. التقارير

الواردة إلينا من الرئاسة تُبلغنا بخطورة الأمر، مجلس الحُكم يصر على أن تظل المسألة في طيِّ الكتمان حتى نصل إلى حل وبأسرع ما يمكن.

اقترب (ضابط المراقبة) منهما في خطوات ثابتة ، ولم ينطق بكلمة حتى أصبح أمامهما مباشرة فقال :

- لقد وجدنا هذه البالونات خارج المركز.

وأشار بيده إلى مجموعة من البالونات ذات شكل عجيب يحملها جنديان، إقتربت (سوزان) من أحد الجنديّين وتحسست بيدها الكُرات التي بين يده ،وتمتمت مأخوذة :

- ماهذا ؟

أجاب (ضابط الأمن):

- هذا هو ما سألناه لأنفسنا في البداية ، وبعد الفحص الدقيق تبيّن أنها نوع خاص جدًا من البالونات ، بل تستطيعين أن تقولي أنه نوع خاص من أجهزة التمويه والخداع و ....

وصمَتَ .. وصمتت هي أيضًا، واستغرق (الضابط) في تفكير عميق قبل قبل أن يهتف به الدكتور (جوهر) قائلاً :

- وماذا يا رجل ؟ أكمل بالله عليك !.

تنحنح (ضابط المراقبة) ثم تمتم قائلاً :

- تلك البالونات التي تبدو لأول وهلة مجموعة من القش تكوّم حولها الغبار والتراب،هي من الداخل مركز حيوي تام.. يستطيع أن يحيا بداخلها بشري لمدة يومين كاملين دون حاجة إلى أدوات تنفس خاصة،وهي إختراع جديد علينا بالفعل!..وفي نفس الوقت لا يصدر عنها أي أثر حراري يدل على ما بداخلها .

قالت (سوزان) في حِدّة :

- أريد أن أرى شريط المُراقبة لأمس .. وبسرعة.

لم تمر ثوان حتى برزت أمامهم شاشة تحمل تسجيلاً لكل مادار خارج المبنى أمس ، وأشارت (سوزان) بأصابعها أن تتوقف الكاميرا عن الدوران ، وراحت تُحدّق في تلك الكُتل التي تظهر والرياح تعصف بها وتتقاذفها يمنة ويسرة في سهولة ويُسر.. قال (ضابط المراقبة) بسرعة:

- هكذا تمت السرقة إذا .

هتف (جوهر) في حنق :

- نعم وتحت سمعنا وبصرنا .. يا للعنة ؟

تمتمت (سوزان) وحاجباها مُنعقدان :

- ليس هناك غيرهم مَنْ فعلها ..

- من تقصدين ؟

تابعت في غيظ وحِدّة :

- المُشوّهون.. وليس غيرهم .

قال (جوهر) :

- تقصدين الفرقة التي تطلق على نفسها اسم (مجموعة الإنقاذ البشري)؟ .. ذلك أسلوبهم بالفعل .. لابد من إبلاغ مركز الحُكم حالاً .

قال (ضابط المراقبة) بهدوء مُريب :

- لابد ان نتأكد أولاً حتى لا نزعج الرئاسة بمعلومات غير حقيقية .

غمغمت (سوزان) في تحدٍّ :

- ومن قال إنها غير صحيحة ؟

قال (الضابط) في تحدٍّ أكبر :

- أنا..حتى نتأكد على الأقل ولا نتسبب في إحراجنا أمام الرئاسة.

قال (جوهر) بهدوء وتريث :

- وكيف نتأكد في رأيك ..هه ؟

قال (الضابط) في ثقة :

- أن نفحص المكان تبعًا للمُعطيات الجديدة.. فلا بد من أي أثر يدل عليهم .. فاللص دائمًا ما يترك أثرًا خلفه يقودنا إليه .

قالت (سوزان) في ثقة عمياء :

- إلاّ هؤلاء يا سيدي .. أتحداك أن تجد لهم أي أثر .

إنسحب (الضابط) من أمامها وهو يقول في تحدٍّ وكبرياء :

- سنرى من سيفوز في النهاية .

قالت (سوزان) في قلق وعيناها تلتمعان في غموض غريب :

- بالطبع سنرى .. سنرى بكل تأكيد .

***

رنّ جرس خافت داخل المركز السري لأفراد المجموعة ، فبدأوا في الانسحاب من غرفهم والإتجاه إلى قاعة الإجتماعات داخل المركز .. وفُتِحت أبواب القاعة على اتساعها استعدادًا لاستقبال الفريق ..

استقبل (راجح) إبتسامة (رأفت) بإبتسامة مماثلة وهو يجلس على مقعده وُيرخي يديه على النضد ويتمطىّ ..

كان (رأفت) أول من حضر ثم بدأ الآخرون في الوفود إلى القاعة ..

دخل (سعد) وهو يعرج على قدميه- فلم يكن لديه وقت ليرتدي جهاز التساوي الذي يجعله يسير بصورة طبيعية- و أتخذ مكانه على عجل دون اكتراث ، بينما دخلت (مروة) بهدوءها المعتاد وأخذت موقعها جوار (راجح)، وهي تُبادل الجميع الإبتسام ..

كان الجمع يجلسون على منضدة الإجتماع وفي عيونهم سؤال مشترك: أهي مهمة جديدة ؟

دلف (طارق) إلى القاعة بقامته شديدة القصر وخطواته الوئيدة، واحتل

موقعه في صدر القاعة .. تطلع إليه كل من(راجح) و(سعد) و(رأفت) لثوان وبدا أنهم يستعجلونه ليُلقي ما لديه ، و لم يكد يستقر في مقعده حتى تركزت حوله كل عيون .. أشار بيده إلى (مروة) ففردت أوراقا أمامها وقالت:

- لقد أعطت العيّنات نتائج طيبة جدًا.. ودلت بمنتهى الصراحة على وجود حياة في مجرة (هيرموسيس) .

هزّ (راجح) رأسه وقال :

- إذًا فقد نجحت مهمتنا .

أومأت برأسها وهي تجيب :

- نعم .. نجحت ..ولكن ينقصنا شئ مهم .

تمتم (رأفت)وهو يزم شفتيه وكأنه غير راض لأن المهمة نقصها شئ :

- ما هذا الشئ الذي ينقصنا ؟

عقدت (مروة) حاجبيها وهي تستطرد :

- إن الحياة الموجودة داخل العيّنات حياة جرثومية كاملة تدور بدقة متناهية وتتكاثر بهدوء أيضًا ، وفي نفس الوقت تتم كل عملياتها الحيوية بالإعتماد الكامل على الاكسوجين ..

قال (سعد) في فرحة :

- إذًا هناك كوكب ضمن المجرة (هيرموسيس) صالح للحياة !

نطق (طارق) في ثقة :

- نعم..هذا ما يبدو.. ولكن قبل الحكم في هذا نحتاج لمُتطوّع .

اتسعت عينا (راجح) وهو يقول :

- مُتطوّع لماذا ؟ ..

إستطردتْ (مروة) وحاجباها منعقدان :

- تلك الحياه الجرثوميّة قد تُمثّل خطرًا علينا.. لذا يجب أن ندرس تأثيرها

على البشر ، لهذا نحتاج لمتطوع حتى نحقنه بتلك الجرثومة ونرى مدى تفاعلها مع الجسم البشري وكيفية التلائم بيننا وبينها .
أطلق (رأفت) تنهيده حارة وهو مُقطب الجبين يفكر ثم قال :
- وهل وقع الإختيار على أحدنا لتتم عليه التجربة؟
قال (طارق) في غضب :
- ومنذ متى يتم الإختيار دون أخذ الأصوات ؟
تنحنح (رأفت) ثم أردف :
- لابد من مُتطوّع إذن !
قالت (مروة) بسرعة :
- بالتأكيد ..وتبعًا لنتائج الإختبار سنقرر أن نكمل التجربة أم لا .
إستعاد (طارق) هدوءه وهو يغمغم :
- وقتها سنقرر إن كنا نحتاج إلى وسيلة مواصلات أم لا .
قال (رأفت) في ثقة واعتداد :
- أظن إنني أفضل من يخضع لتلك التجربة .
مرت برهه صمت قبل أن يقول (راجح) في تؤدة :
- ولماذا يكون المُتطوّع هو أنت ، وليس أحدًا آخر ؟.
أجاب (رأفت) بنفس الثقة :
- لأنني الوحيد الذي لم يتعرض جسده للإشعاع .
همست (مروة) بصوت مسموع :
- أظن هذا صحيحًا..نحن نحتاج إلى بشر سَويٌ لنضمن نجاح التجربة.
انشغل (طارق) بمتابعة الحديث دون أن يتدخل حتى قال في النهاية بلهجة وديّة دافئة :
- ليكن..لنُجري التجربة ولنرى النتائج أولاً ،ثم نقرر ماذا سنفعل .

غادر الجميع القاعة عدا (طارق) ،الذي ظل يفكر أين ستؤول بهم تلك التجربة الرهيبة؟..إنها إلتقاء بين حياتين مختلفتين كل الإختلاف.. ولكن ربما كانت الحل الوحيد لإنقاذ الأرض.

وبدأ عقله يعمل وهو يدرس كل شئ ويجهز في رأسه خطة جديدة رهيبة للإستيلاء على (صقر)..وكانت الخطة مُدهشة بالفعل وخطيرة..

إلى أقصى مدى وأبعد حد..

***

(2)

انتهت التدريبات العسكريّة داخل مركز العلوم الأرضية.، كانت التدريبات قد بدأت منذ الصباح والساعة الآن تُشارف على التاسعة مساءً ، تدريبات تختلف من مجموعة إلى أخرى ، مجموعة تتدرب على مُحاربة الكائنات الفضائية وتستخدم الأسلحة الحديثة .. والبعض الآخر يتدرب على مجموعة قديمة من الأسلحة البيضاء ونظم حروب الشوارع، حتى يستطيعوا أن يقاتلوا بمنتهى الحرية إذا تقابلوا مع خصم مُشوّه غير خاضع لأي تطور ، فسيتمكنون حينها من التعامل معه بمنتهى الوحشية.

وكانت المجموعة تُقسّم حسب العامل البشري فيها .. فبعض الرجال كان بشري قح والبعض نصف آلي .. والأخير آلي تمامًا.. وكانت كل مجموعة تتكون من تسعة رجال.. يتحركون تحت إشراف قائد أكبر .

وانتبه الجميع لتلك السيارة الفضائية التي أتت المركز بسرعة رهيبة قبل أن تتوقف ويثب منها رجل وإمرأتان ، كانت إحدى المرأتين هي (سوزان) المسئول الرسمي على مركز الأبحاث الجنائي والأخرى ذات القوام السمهري والجسد الأتلع هي مساعدة أبحاثها الآلية (ليندا) والرجل الوحيد معهما هو الدكتور (جوهر) أستاذ العلم الإجرامي والطب النفسي للمُشوّهين .

لذا انتبه الجميع جيدًا ، وتوقع المُعظم أن هناك شيئًا خطيرًا في الطريق إليهم ، قطعت الفتاتان الطريق إلى داخل المبنى (د) حيثُ المنطقة المحرمة على الآليّين ..

بينما تحرّك (جوهر) إلى المركز (و) لدراسة المُشوّهين وعلى شفتيه إبتسامة غريبة ..

وقفت (ليندا) أمام الباب المؤدي للمنطقة (د) بينما دلفت (سوزان) إلى الداخل حيث إستقبلها رجل الأمن بهدوء - ينم على تردّدها الدائم على تلك

المنطقة – مُفسحًا لها الطريق لغرفة الأمن حيث تمر على الغرفة المُخصصة.. وخضعت لفحص الجينات الخاصة قبل أن تسمع الصوت المعدني الرتيب :

- " لقد تم التعرّف على الجينات.. مسموح لك بالدخول بعد التخلص من الأسلحة "

ناولت أسلحتها إلى جندي الأمن ، ثم سمعت صوت تكة المزلاج وهو يفتح.. وظهر أمامها مصعد خاص، والصوت المعدني يقول :

- " عرّف نفسك حتى تستطيع الدخول " ..

تمتمت في هدوء :

- الدكتورة (سوزان) رئيس المركز الجنائي لأبحاث الفضاء .

سمعت الصوت يُكرر :

- " لقد تم التعرف و تستطيع الدخول "

قالت لنفسها في غيظ :

- لماذا يصرّ ذلك اللعين على مخاطبتي بصيغة المذكر؟

ثم سوّت خصلات شعرها وهي تدلف إلى داخل المصعد .. لم يكن بالمصعد أي أزرار تحكم بل يوجد في وسطه كرسي واحد فقط.. جلست عليه بثقة واعتداد وهي تضع ساقًا على الأخرى ، على حين هبط من أعلى المصعد شعاع فيروزي راح يتحول تدريجيًا إلى اللون الاحمر ثم الأخضر ، وكان الشعاع يُدغدغ حواسها ويجعل جسدها يقشعر ولكنها تعودت على كل تلك الإجراءات من قبل فلم تهتم ، وتركت الشعاع يتفحصها قبل أن ينسحب من فوقها بهدوء ، ويُفتح باب المصعد .. لتجد أمامها ممرًا ممتدًا، وكانت صورتها تنعكس في المرايا المُمتدة على جانبيْه ..

أفضى بها الممر إلى قاعة واسعة دائرية خالية تمامًا من أي أثاث .. بمجرد أن لمست قدماها أرض القاعة ، حتى ظهر أمامها كرسي ذي مسندين إقتربت

منه وجلست تنتظر ، مرّت بُرهة من الصمت لا يقطعها سوى صوت أنفاسها المُتردّد في صدرها ..

ثم ظهرت شُرفة دائريّة فوقها وبداخل الشرفة إرتصت تسعة مقاعد .. وظهر أمامها رئيس مجلس الحُكم بكامل هيئته في ثياب ذهبية تتألق في عنف ، وإستقر باقي أعضاء المجلس على مقاعدهم.. همّت بالوقوف ولكنها تذكّرت في آخر لحظة انه غير مسموح لها بذلك ..

جاء صوت (الرئيس) ضخمًا صاخبًا في عنف وهو يقول :

ـ ماذا هنالك ؟.. هل توصلتم إلى شئ ؟.

تنفست في صوت مسموع ثم قالت :

ـ نعم ..إن النتائج الأولية أثبتت وجود حياة في مجرة (هيرموسيس) .

قال أحد المُستشارين :

ـ ولكن العيّنة سُرقت قبل إنتهاء التجارب !.

قالت حانقة وعيناها تتقدان :

ـ هو ذلك فعلاً .. ولكننا في طريقنا لمعرفة مكان وجودها .

قال (الرئيس) بنفس الصوت الصاخب الأجَشْ :

ـ وكيف ذلك ؟ هل وجدتم أي دليل على السارق ؟

أومأت برأسها وعيناها تتقدان أكثر فأكثر وقالت :

ـ نعم ..لقد وجدنا جهازًا لبَثْ الصورة الوهميّة لم ينفجر بعد البث وأعتقد أن ذلك هو الخطأ الوحيد الذي وقعت فيه مجموعة السرقة .

هتف أحد رُؤساء المجلس :

ـ وماذا كانت نتيجة فحص الجهاز ؟

تمتمت في خفوت :

لقد وجدنا بصمة جينيّة تدل على السارق ، وتبعًا لما وجدناه من بيانات

على الكمبيوتر الأم فهي تخص الضابط (رأفت) الهارب من المُعسكر الفضائي (ج) .
هتف (الرئيس) في حنق :
- خطيبك السابق ، أليس كذلك ؟ ..
قالت في إستنكار :
- بلى .. ولكن ذلك ليس له دخل بما نحن فيه !.
قال المُستشار الذي يجلس أمامها مباشرة :
- إذًا في الأمر دواعي شخصية .
هتفت في إستنكار أكبر :
- مستحيل .. إنني أؤدي عملي على أكمل وجه ، ولا أهتم بالمرة بالأمور الشخصيّة في عملي ، وأنتم تعرفون ذلك جيدًا .
أردف (الرئيس) مُجدّدًا:
- نحن نعلم ذلك ، ونثق بكِ ثقة عمياء أرجو أن تكون في محلها.
غمغمت (سوزان) بتؤدة :
- أعدكم أنني سأقبض عليه بنفسي ولن أدعه يفلت هذه المرة .
أستطرد الرئيس قائلاً :
- هل تعرفين معنى هروبه منكِ مرة أخرى ؟
تذكرت كيف هرب منها أول مرة، فإتسعت عيناها وتقطب جبينها وهي تقول في غيظ :
- أعرف بالتأكيد ولن أسمح له مره أخرى بإستغلالي .. اعدكم أن يكون مُقيّدًا هنا قبل مرور أيام .
أشار (الرئيس) لمُستشاريه بالقيام ، فوقفوا وهو يُنهي كلامه قائلاً :
- سنعطيكِ تلك الفرصة حتى تُثبتي جدارتك وإلا ..

وأردف قائلاً وهو يمشي مُبتعدًا :

- تستطيعين الإنصراف الآن .

إنسحبت الشرفة إلى الداخل .. فقامت مُتثاقلةً وهي تتمتم :

- سأجده هذه المرة من أجلي .. ومن أجل مجلس الحكم .. لن يفلت من يدي مرة أخرى .

وإتسعت عيناها وإنطلق الشَرَر منهما ، وهي تكتم غيظًا رهيبًا يعصف بكيانها كله ويجعلها ترتعش من قِمّة رأسها حتى إخمص قدميها .

وراحت تقطع الممر مرة أخرى في خطوات صلبة ويداها مُنقبضتان على لاشئ وقد تقطب وجهها وإرتسمت على قسماتها كل التحدّي ..

كان ذلك إيذانًا ببدء جولة جديدة مع خطيبها القديم وعدوّها الجديد .. جولة من الواضح أنها سوف تتسم بالعنف إلى أقصى الحدود ..

وبلا حدود.

استقبلتها (لينا) الآلية على باب المنطقة (د) وأدّت لها التحية العسكرية ، ولم تستطع أن تُفسر تقطيبة وجهها ولا الدموع التي ترقرقت في مآقيها .. لذلك قالت بصوت شبه آدمي رفيع:

- أهناك جديد في الطريق ؟ ..

أشارت لها (سوزان) أن تتبعها وسارتا إلى المنطقة (و) ، بينما الجنود والضباط يتطلعون إليهما في دهشة لإحتلال تلك الفتاة ومُساعدتها كل ذلك الإهتمام والتقدير والثقة من " مركز الحُكم " ، كانت (سوزان) في المقدمة ، بينما تبعتها (ليندا) في خطوات لا تدل بالمرة على أنها إنسانة آلية .

دلفتا إلى المنطقة (و) وقطعتا الردهة إلى غرفة الدكتور (جوهر) الذي استقبلهما بابتسامة جذابة، وهو يجذب أحد المقاعد لتجلس عليه (سوزان)،أحست وقتها بنوع من التملق في تصرفاته ولكنها لم تهتم ، فقد كان

المطر يعرقل حركتهم قليلاً ولكن بمجرد أن تلقوا الأمر تحركوا جميعًا..

ثنى (رأفت) جسده وأخرج من خلف ظهره حقيبة جلدية أخرج منها عدة أسلاك ناول (سعد) طرفها فتحرك بها مبتعدًا وأخرج (رأفت) الطرف الآخر ، وراح يتحرك في الإتجاه المعاكس .. بحيث يلتقي الطرفان وتكون نهايتهما في المكان الذي يحتله (طارق) ..

بينما تحرك (راجح) و (مروة) في إتجاه غرفة المُتابعة الأرضية ، وتسللا بمنتهى الحذر وهما يختبران بدقة موضع أقدامهما فنسبة الخطأ مهما كانت ضآلته مرفوضة نهائيًا ، وصلا إلى باب الغرفة فأخرج (راجح) جهاز حاسب نقال أوصله برتاج الباب الإلكتروني ، كانت شفرة الباب مُعقدة بالفعل ولكن الحاسب راح يفكها كل ثانية واحدة بواحدة حتى إستطاع خلال دقيقة ونصف الإنتهاء من حلها ، وأعطى إشارة لاسلكية لـ(طارق) بأنه على إستعداد فأتاه الأمر بالتنفيذ .. فربّت على كتف (مروة) بأريحيّة وهو يقول بصوت منخفض :

- *الآن ..*

وضع كلاهما قناع غاز على وجهه ، في نفس اللحظة التي كان (سعد) و(رأفت) قد إقتربا من (طارق) الذي أخذ طرفي السلك منهما وأوصلهما بطرفي جهاز خاص كان يحمله على ظهره وضغط الزر ، فراحت موجة من القنابل تنفجر بالتتابع كل ثانية..كان الانفجار من العنف بحيث أطار أجزاءً كثيرة من السور .

بينما تطلع الموكب الهابط من السفينة إلى الانفجارات بمنتهى الدهشة والرعب ..

هتف أحد الجنود :

- *إقتحام! .. إقتحام ..!..*

ـ لقد فشلت المهمة !

وراحت المركبة أمام أعيُنهم ترتفع عن الأرض بينما أحاط بها مجال كهرومغناطيسي رهيب لا يسمح لأحد منهم بالاقتراب.

قالت (مروة) في إستنكار :

ـ مستحيل ..!..أكيد هناك حل !

عندئذٍ راحت أجهزة الرصد على وجه الأرض تستقبل إشارة الإنذار وتحركت مركبات الفضاء من مواقعها ، وإبتسمت (سوزان) داخل مركز العلوم وهي تهتف لصديقها (جوهر) :

ـ لقد وقع في أيدينا، ولن يفلت الآن أبدًا.

قال(جوهر) ساخطا وهو يتابع الشاشة التي تعلن مكان وجودهم:

ـ ولكن أمامنا عشرُ دقائق كاملة قبل أن نصل إلى المركز الفضائي ، وربما تغير الكثير وقتها .

ولم يكن يدرك وقتها أنه قال الحقّ ..

فقد تغيّر الكثير بالفعل ..

لقد كان (رأفت) داخل المركبة يدور كالمجنون ويده تعبث في كل شئ، ولكنه عبث دقيق منظم ، يُدرك جيدًا ما يفعله ، راحت أصابعه تتابع الحركة على جهاز القيادة للسفينة ، وهي لا تطاوعه وترتفع أكثر وأكثر عن الأرض ..

إنه يدرك جيدًا هولّ هذا، ولكنه واصل مُحاولاته ..

وراح عقل (طارق) الجبار يُعطيه ما يلزمه من بيانات خلال جهاز الإتصال ، فراحت أصابعه تتحرك بسرعة أكبر .. فكل دقيقة لها ثمن الآن بل كل ثانية قد تفرق الكثير ، وأخيرًا بدأت المركبة تطاوعه وتتلقى أوامره في دقة.. وبدأت تهبط على الأرض بعد أن بعدت عنها .

قال (راجح) وهو يتطلع للمركبة وهي تهبط :

- لقد فعلها .. لقد فعلها .. ياله من بطل !
قالت (مروة) في سعادة :
- حمدًا لله..لقد فقدت الأمل ، وظننتها مهمة فاشلة وخاسرة.
قال (طارق) وهو يشد من قامته القصيرة :
- لن نفشل بإذن الله .. والآن إستعدوا لكي تقلكم أكبر مركبة فضاء خارج الأرض .
قال (راجح) بسرعة :
- لم يتبق من المهلة المسموحة لتعطل الأقمار الصناعية سوى عشر دقائق ، هل تظن أننا سنكون خارج المجال الجوي في ذلك الوقت ؟.
قال (طارق) وعيناه تتقدان بالتحدي :
- إن شاء الله .. سنكون خارج مجالها في أقل من هذا .
قال (راجح) مُستفسرًا :
- ولكن (رأفت) لم يقد من قبل سفينة بهذا الحجم أو هذه الإمكانيات .
قالت (مروة) بثقة وهدوء :
- (رأفت) ضابط فضائي سابق وله الكثير من الخبرات ولقد نجح في السيطرة على المركبة وسينجح في قيادتها بكل تأكيد .
قال (سعد) وعيناه وتتألقان :
- أتمنى هذا بكل تأكيد .. كلنا نتمنى هذا .

ولثانية توقفت المركبة أمامهم وتوقف المجال الكهرومغناطيسي عن العمل ،فتحركوا يتسابقون تجاهها وفي أذهانهم سؤال واحد: هل سينجحون ؟.. وفتحت أبواب المركبة فدلفوا للداخل .. إحتلوا مقاعدهم بالداخل بناءً على أوامر (طارق) وتعليمات (رأفت) ، وراحت المركبة تطير وتتصاعد إلى أجواء الفضاء العليا .. بسرعة رهيبة ..

والصوت الآلي يكرر كل ثانية:" *لقد أقتربنا من الغلاف الجوي .. أرجو تحييد صواريخ الأقمار الصناعية"*

نظرت (مروة) بقلق إلى الجميع وهي تهتف :

- لم يتبق أمامنا سوى ثلاث دقائق ،فهل سنفوز هذه المرة ؟

وراح السؤال يتردد في عقولهم بلا إجابة : نعم..هل سيفوزون ؟

بدأت المركبة (صقر) تشق طريقها إلى خارج الغلاف الجوي وقد أطبق الصمت عليها من الداخل لا يعترضه سوى أزيز بعض الأجهزة الإلكترونية، وراح السكون يسيطر على الجميع وقد أستقروا في مقاعدهم ،حيث كان (رأفت) يستخدم كل ذكائه وخبرته السابقة مع السفن الفضائية .. وطفق الصوت الآلي يكرر من جديد: " يُرجى تحييد صواريخ الأقمار الصناعية .."

تحولت قبضتا يد (رأفت) إلى حديد ، حتى شك رفاقه أنها إلتحمت بلوحة القيادة ، والصوت الآلي الرتيب لا يهدأ عن التحذير المُمل ، وبالفعل إخترقت (صقر) الغلاف الجوي واستعدت لتأخذ مكانها في الفضاء..

وقتها انطلقت ستة صواريخ من الأقمار الصناعية بإتجاهها ..

وطفق الجميع يراقبون الصواريخ على شاشة الكمبيوتر الراصد وقلوبهم تخفق في إرتياع .. وتمتمت (مروة) مأخوذة :

- سنصطدم بها بالتأكيد .

تطلع الجميع إلى جسد (رأفت) وأصابعه التي أخذت تتنقل بسرعة رهيبة على أزرار القيادة بينما الصواريخ في طريقها إليهم ..

وعاد الصوت الآلي مرة أخرى مُحذّراً:

- "هناك صواريخ تتجّه إلى السفينة .. سنصطدم بعد ثلاث دقائق إذا لم نُعدّل من وضعنا .. أجهزة الدفاع مستعدة لإطلاق الصواريخ المضادة .. "

تحركت أصابع (رأفت) والعرق يتفصد عن جبينه بشدة وبدأ عقله يدرس

في سرعة مُدهشة مايحدث .. والصوت الآلي يكرر :

- *دقيقتان فقط ويحدث الإصطدام. الأجهزة الدفاعية بإنتظار الأمر .*

قال (سعد) في سرعة ولهفة :

- لماذا لا نطلق الصواريخ المضادة الآن ؟

قال (رأفت) وعيناه تتألقان بشدة :

- لن نستطيع أن نفجر ستة صواريخ دفعة واحدة ، السفينة لا تمتلك إلا ثلاثة صواريخ دفاعية فقط ، لذا علينا التريّث .

ساد الجميع الصمت ولم ينبس أحدهم بحرف بينما (رأفت) يدور بسفينته بعيدًا في محاولة منه لتفادي الإنفجار ، ولازال الصوت الآلي يُحذر أنه بقيت دقيقة واحدة ويحدث الإرتطام وعن امكانيّة إطلاق صواريخ الدفاع ، مرت بُرهة قبل أن يُكرر الصوت :

" ثلاثون ثانية..لا مجال لتفادي الإنفجار..وراحت أجهزة السفينة تومض في بريق فسفوري حاد ".

تمتم(رأفت) بجبين مقطب وأصابعه على زر إطلاق الصواريخ:

- *الآن ..*

وضغط الزر وهو يميل بالسفينة بدرجة عجيبة ، فإنطلقت ثلاثة صواريخ مُضادة ، وبعد ثانيتيْن كان الإنفجار ، لقد تلاقت الصواريخ الستة وارتجت السفينة بعنف وتباعدت عن مجال الإرتطام بدرجة مدهشة، بينما ظلت صواريخ الأقمار الباقية تدور حول الإنفجار وكأنها لا تجد مكانًا لإستمرارها في الهجوم فراحت تدور في الفضاء ، و(صقر) تبتعد وتبتعد..

هتفت (مروة) وعيناها تتألقان بالفرح :

- لقد نجحنا ، أنت بطل.

قال (سعد) بسرعة :

- كنت تعرف أنها صواريخ حرارية لذلك أخّرت اطلاق وسائل الدفاع إلى أقصى مُدّة مُمكنة حتى تستطيع أن تتفادى الإرتطام .. يالك من عبقري!

لمح(طارق)قدم(رأفت) فوجد الدماء تكاد تغطي سرواله، فهتف بجزع:

- إصابتك شديدة ..لابد من علاجها حالاً .

تنبه باقي أفراد المجموعة إلى الدماء التي تغطي ساقه فقام (سعد) من مقعده واتجه إليه وهو يقول :

- من الأفضل أن تشغل القائد الآلي الآن ودعنا نفحص إصابتك .

غمغم (رأفت) وإبتسامه شاحبه على شفتيه :

- لا عليكم .. سأكون أحسن بالتأكيد .. فالإصابه سطحية .

قالت (مروة) وهي تقترب منه بدورها :

- دعنا نحن من يقرر هذا .. هيا قمْ حتى نضمد الجرح .

أطلق(رأفت)القائد الآلي وترك السفينة لمجالها بعد أن حدد لها وجهتها ،وقام متثاقلاً وهو يستند بيده على حافة مقعده،قائلاً بضعف:

- أشكر لكم إهتمامكم ، ولكنني أشعر أنني على ما يرا ..

ثم هوى فاقد الوعي بين يدي(سعد)الذي قال في جزع حقيقي:

- إنه يرتجف وحرارة جسده مرتفعة جدًا .

قال (طارق) بسرعة :

- لننقله إلى الغرفة (ع) حالاً ، فهناك سنجد كل ما نريده من الأجهزة الطبية اللازمة لعلاجه .

تحركت (مروة) لتساعد (سعد) على حمله بينما أخذ (طارق) يشق طريقه أمامهم ليريهم الغرفة(ع) - فقد كان يحفظ ممرات السفينة عن ظهر قلب ، فمنذ عام وهو يُخطط لسرقتها ويحفظ كل شبر فيها بدقة مدهشة - بينما احتل (راجح) مقعد القيادة بعد أن أعطاه (طارق) التعليمات بهذا ، وحتى

يستطيع أن يتابع خلال شاشات الرصد أي تطورات قد تحدث .

دلف(سعد) بحمله إلى داخل الغرفة ، بينما راحت (مروة) تعد منضده العمليات ، وضع (سعد) جسد (رأفت) برفق على طاولة العمليات ، وشق (طارق) بنطلون (رأفت) ليرى عمق الجرح ، عندها اتسعت عيناه رعبًا فقد كان الجرح غائرًا بالفعل و بدا بشعًا والحروق تحيط به من الخارج ..

راحت أصابع (مروة) تضغط على أزرار الكمبيوتر الطبي فطفقت البيانات تتوالى ، بينما قرّب (سعد) جهاز الليزر الطبي من الجرح، على حين قامت (مروة) بتعليق أكياس الدماء بعد أن أعطاها الكمبيوتر فصيلة الدم المطلوبة، وبعد أن استخرجتها من الثلاجات الطبية الموجودة بالغرفة .

وانشغل (طارق) بجهاز الليزر وهو يخيط الجرح في دقة متناهية ، قبل أن يأتي الصوت الآلي هذه المرة قائلاً :

- " الحالة مُستقرة والجرح تم علاجه .. سيفيق المريض بعد ساعة."

أطلق (طارق) زفرة حارة وتمتم قائلاً :

- حمدًا لله .. لقد خفت أن نفقده لثوان .

قالت (مروة) وهي تربت على كتفه :

- لا تقلق ، سيكون بخير.. فجسده قد تلقى تدريبات شاقة من قبل وعضلاته قوية فلا تقلق .

لم تُنهي جملتها حتى إقتحم (راجح) الغرفة هاتفًا:

- هناك مركبات فضاء ترصدنا وتتبعنا ، ولن تمر ربع الساعة حتى تكون أمامنا مباشرة .

قال (سعد) بسرعة :

- لابد أن نتصرف ..أطلق المركبة بكل سرعتها ..يجب ألا يلحقوا بنا.

قالت (مروة) :

ـ لا نستطيع ، فنحن لا نعرف جيدًا كيف تقاد هذه السفينة .. الوحيد الذي يعرف غارق أمامك الآن في سُبات عميق .

تعلقت العيون بجسد (رأفت) المُسجّى أمامهم وتقطب جبين (سعد) .. بينما تمتم (راجح) قائلاً :

ـ مستحيل.. في هذه الحالة نحن ضائعون لا محالة .

قال (طارق) في هدوء وثقة :

ـ لا عليكم.. أنا أعرف كيف تُقاد هذه السفينة .. فلقد درستها جيدًا.

وأخذت القلوب تخفق مع عبارته ، وتألق الأمل في العيون.

***

(3)

تحركت (سوزان) داخل إحدى مركبات الفضاء المُتابعة للمركبة (صقر) حركات عصبية عنيفة ، كان كل كيانها مُعلقًا بتلك المطاردة ، ويجب أن تُثبت للجميع أنها الأفضل ، أوامرها إلى قائد السفينة تتغير كل دقيقة ، وقسمات وجهها تتبدل كل ثانية ، الجميع أمام الأجهزة القيادية.. والملاّحون منشغلون بتنفيذ أوامرها ،الآلية (ليندا) تقف موقف المُتفرّج اليقظ تتابع جميع الأوامر والبيانات دون أن تتدخل بحرف واحد .. والدكتور (جوهر) يرتكز بيده على مسند مقعده وقد شبك أصابعه أمام وجهه وراح يفكر في تركيز شديد ..

السفن الفضائية تقترب أكثر فأكثر من المركبة (صقر) وأخيرًا قطع ذلك الصمت صوت ملاّح الإشارة وهو يقول :

- خمس دقائق ونبلغ الهدف.. ولكن الهدف يزيد من سرعته الآن تدريجيًّا..وإذا استمر على هذا المنوال فلن نستطيع اللحاق به أبدًا.

هتفت (سوزان) في غضب إلى القائد :

- زد من سرعة السفينة إلى أقصى درجة .

قال القائد وعلى وجهه تعبير بعدم الفهم :

- ولكننا نسير بالسرعة القصوى بالفعل !

ضربت(سوزان)أرضية السفينة بقدمها في عصبية وهي تصرخ:

- مستحيل أن يُفلتوا منا الآن .. فنحن قابَ قوسيْن أو أدنى .

قال القائد بتردّد :

- يُمكننا أن نطلق الصواريخ الآن لتعطيلهم ، وإلا استمر تفوقهم علينا في السرعة في ازدياد كل ثانية .

قالت (سوزان) في غيظ :

- ولِمَ الانتظار ؟! .. أطلقوا الصواريخ الآن .

جاء صوت (ليندا) الآلي مُحذرًا :

ـ من المستحيل إطلاق الصواريخ من هذه الزاوية ، فنسبة الإصابة لا تتجاوز الواحد في الألف ، وستتخطاهم الصواريخ لتصيب محطة الرصد الفضائي ، من الواضح أن هناك من يفكر جيدًا لديهم ، لقد إتخذوا مسارًا يجعل اصابتهم مُستحيلة دون تدمير قاعدة الرصد الفضائي .

هتفت (سوزان) في غيظ ساخط :

ـ لتذهب القاعدة إلى الجحيم .. المهم ألاّ نفقدهم .

قال (جوهر) في هدوءه المُريب :

ـ مستحيل ..هذه القاعدة تكلفت ثلث ميزانية الأرض، ومستحيل أن نُضحّي بها هكذا .

صرخت (سوزان) في حنق :

ـ قلت أطلقوا الصواريخ الآن .

قالت (لينا) بنفس نبرات صوتها المعدني :

ـ لن يُنفذوا الأمر ، فمركز الحُكم سيُعدم كل من يفكر في هذا ، كما أن القاعدة مُجهّزة بأحدث الأسلحة المضادة ،فإذا انطلق صاروخ واحد سنتحول جميعًا إلى ذرات ، تتشتت في العدم إلى مالا نهاية .

قال قائد السفينة بسرعة :

ـ هذا صحيح بالفعل ..ومن الواضح أن من يقود (صقر) يعرف ذلك أيضًا

انطلق السباب من شفتي (سوزان) وهي تصرخ غضبًا:

ـ اللعنة عليهم.. ألف لعنة .

قال (جوهر) وعلى شفتيه إبتسامه باهته :

ـ يجب أن نتخطى القاعده أولاً ، ثم نطلق الصواريخ عليهم .

قال الملاح مُصحّحًا :

ـ مستحيل ! .. إذا تخطينا القاعدة ومع إزدياد سرعة سفينتهم وإمكانياتها لن نستطع أن نصيبهم أبدًا ، فسيكون فرق المسافة بيننا أكثر من ساعتيْن وكل دقيقة في إزدياد مستمر .

هتفت (سوزان) في غيظ مكتوم :

ـ وما الحل إذًا ؟.. أجيبوني بالله عليكم .

قال قائد السفينة في حنَق بالغ :

ـ إنهم يُغيّرون المسار مرة أخرى !.

قال (جوهر) وهو يتابع شاشة الرصد :

ـ إنهم هذه المرة يتجهون إلينا، مستحيل..إن من يقود تلك المركبة مجنون بحق .

صرخ الملاّح :

ـ لنعط أوامرنا إلى قواد السرب بالتشتت وإتخاذ وسائل الدفاع.

قالت (ليندا) بصوتها الرتيب :

ـ يستخدمون الهجوم كخير وسيلة للدفاع .

إرتفع حاجبا (سوزان) في دهشة وهي تقول ساخطة :

ـ أعط الأوامر باتخاذ وضع الهجوم.. يجب أن نُصيبهم قبل أن يقتربوا أكثر من هذا .

ـ غير معقول .. فبتلك السرعة التي يتوجهون بها إلينا سيبلغوننا بعد أقل من دقيقة ، ويكون من المستحيل أيضًا إصابتهم دون أن نصيب محطة الرصد الفضائي ، وهم يدركون ذلك أيضًا.

إرتسم القلق على وجه (سوزان) بكل وضوح وبات من الصعب أن نفهم فيما تفكر ، لذا فقد إندفعت الآلية (ليندا) في الكلام قائلة :

ـ سنتركهم يتجاوزوننا ، ثم عندما تصبح المركبة خلف مركبتنا نبدأ بتنفيذ

التشكيل المثلثي ونحاصرهم داخل المثلث ، وقتها إما الاستسلام أو الدمار الشامل لهم .

قال (جوهر) مُضيفًا:

ـ نعم ذلك حل جيد ، ولكنني أشك في أن هذا القزم لن يفكر في هذا الأمر ، فلم أكن أتصور أنه يملك هذا القدر من الذكاء .. إنه ذكاء غير طبيعي بالمرة .

ضحكت (سوزان) ساخرة وانطلق صوتها وهي تقول :

ـ بل إنه الذكاء نفسه يا صاح .. فهو يملك أكثر من هذا بكثير .

هتف القائد مُستوضحًا :

ـ والحل ؟ الوقت يمر بسرعة رهيبة وهم يقتربون بسرعة أكبر.

قالت (لينا) دون أن يطرف لها رمش :

ـ لنتبع نفس سياستهم ، مُرّ المركبات الست بالتباعد عن مجال الإصابة والإنفصال نهائيًا حتى نشتت إنتباههم ، ثم التحول إلى الهجوم في نفس الثانية التي يرون فيها أن المركبة أصبحت في مجال واضح لهم .

قالت (سوزان) بعنف :

ـ كلا .. لتنفصل فقط المركبة (سوسر) ولتُطلق النوارس .

كانت(سوسر) هي أكبر مركبة من مركبات الهجوم ، وهي التي تحمل على متنها النوارس ،أي مجموعة من سفن الفضاء الحربية الصغيرة يقودها مُلاّح واحد ، تنطلق في تشكيل مُتجمع وأسلحتها مُصوّبة دائمًا وجاهزة للإنطلاق وتحمل قوة تدميرية من الأسلحة ، لذلك ابتسم الجميع وهم يُدركون أن تلك الخطة لم تدر بخلد من يقود(صقر) ، وإنهم بذلك سيصيحون قيد التسليم أو الموت.

ـ لتنفصل (المركبة سوسر) .

ـ نُفذ الأمر والمركبة في وضع الإنفصال .

- لتنطلق النوارس بالسرعة القصوى .
- جاهز للتنفيذ .. النوارس تُحلّق .
- كوّن وضع المثلث المعكوس .
- الهدف أمامنا .. والأسلحة جاهزة .
- أطلق الإنذار الأخير لهم .
- نفذ الأمر .. ولم نتلق إجابة .
- إبدأ الهجوم .. وليكن شاملاً .
- الوضع المثلثي أصبح معكوسًا ونحن جاهزون .
- أضرب عند الإشارة (س) .
- جاهز للضرب ..
- نفذ وحالاً .

وانطلق سيل من الصواريخ والطوربيدات الجوية تجاه (صقر) التي لم تغير من وضعها واستمرت على سرعتها ، والصواريخ تتجه إليها في سرعة رهيبة تدل على أن الإنفجار سيحدث أكيد ..

- ست ثوان ونصيب الهدف .
- عُلم وعليكم التحرك إلى نهاية رأس المثلث عند التنفيذ .
- ثلاث ثوان .... ثانية واحدة ....

وحدث الإنفجار..

كان عنيفًا إلى أقصى درجة ، ومدمرًا إلى أقصى حد .. وأضيئت السماء باللون الأحمر ، وتناثرت الأشلاء والحطام عبر الفضاء وأصبح الحطام ككتل من النيازك الصغيرة تتخبط في بعضها ، وإزداد وهج الإشتعال والإنفجارات تتوالى دون توقف ، حتى ظن الجميع أنها ستمتد إلى مالا نهاية.

***

لنتوقف دقيقة حتى نفهم ما حدث ، ولنرجع إلى الوراء مدة بسيطة قبل حدوث الانفجار بثوان..

ولنرَ ما يحدث ..

السكون يطبق على المركبة من الداخل ..

(طارق) يحتل مقعد القيادة وإن لم يكن احتلالاً كاملاً ، فجسده الصغير لا يملأ نصف المقعد ، بينما تتحرك يداه بسرعة مُدهشة على أزرار القيادة ، وعيناه مُتسعتان تتابع شاشة الرصد الفضائي في لهفة وتحفز شديدين ، بينما يجلس على يساره (سعد) وقد راح يُنفذ ما يُلقى إليه من أوامر بسرعة مدهشة ، كل ذلك في صمت لا يقطعه سوى صوت أزيز الأجهزة حولهم ، بينما إستقرت (مروة) على يمينه وأصابع يدها الثلاثة تنقر أزرار الأجهزة الالكترونية أمامها بلا توقف ..

وسكن(راجح)على مقعده وقد إنعقد حاجباه وازداد تقطيب وجهه ولا ينبس بحرف ، وعيناه معلقتان بشاشة الكمبيوتر الرئيسي للمركبة.

وأخيرًا نطق (طارق) قائلاً :

- دقيقة ونصبح في متناولهم.. هل نحن جاهزون للمواجهة ؟

أجابت (مروة) تساؤله:

- نعم .. الخطة ناجحة .. ولم يفهموا قصدنا بعد .

همس (راجح) :

- لقد إتخذوا موضع الدفاع ، لكنهم سيُعدلونه بعد ثوان لما نحن مُقبلين عليه .

قالت (مروة) مُتابعة :

- بالتأكيد ..سيحاولون مُواجهتنا بنفس الأسلوب .

ضحك (سعد) وهو يحاول أن يُغالب توتره وهو يصيح :

- ونحن مستعدون لهم ..سنبدل من وضع حركتنا بعد ثوان وسنُريكهم.
هزّ (طارق) رأسه ورد قائلاً :
- نعم.. مستحيل أن يُصيبونا من هذه الزاوية ، فمحطة الرصد الفضائي ستكون في مجال صواريخهم ، وهم لن يُضحّوا بها أبدًا.
قالت (مروة) باسمة :
- الخطة تسير وفقما نريد لقد اتخذوا الوضع المُثلثي .. ستكون المفاجأة لهم رهيبة ومدهشة .
بادلها (راجح) الابتسام وهو يقول :
- سيُدهش (رأفت) عندما يفيق ويجد ما فعلناه بهم .
هتف (طارق) في مرح :
- لقد انطلقت النوارس .. أيظنون أننا لم نفكر بهذا ؟
قالت (مروة) في تأن :
- سلاحنا جاهز وقيد التنفيذ .. هل ننفذ الآن ؟
قال (طارق) في صوت آمر :
- لا .. لندع لهم الضربة الأولى حتى تكون الأولى والأخيرة .. لنطفئ أنوار السفينة الخارجية ولتفتح الكوة (ج) على اتساعها .
ضغطت (مروة) عدة أزرار بجانبها لوهلة ثم قالت :
- الكُوّة على اتساعها .. والطريق مفتوح أمامها .. هل نُنفذ؟
أجاب (طارق) وأسنانه تصطك ببعضها في عنف :
- ليس الآن .
هتف (سعد) بتوتر :
- لقد انطلقت الصواريخ والطوربيدات ونحن ندخل إلى قلب المثلث ، ثلاثُ ثوان ونصبح رمادًا تذروه الرياح إن وجدت في هذا العدم .

صرخ (طارق) فيهم قائلاً :
- نفذ عند الإشارة .
وعلق يده في الهواء والثواني تمر عليهم كساعات.
صاح (طارق) في عنف :
- الآن ..
وحدث الانفجار..إنطلق من الكوة(ج) قبل الانفجار مباشرة شعاع أحمر أخذ ينتشر شيئًا فشيئًا ليُكوّن دائرة رهيبة تستقبل الصواريخ ، و تُحوّل مسارها إلى السفن والمركبات التي انطلقت منها ، لقد استخدم (طارق) أغرب سلاح لديه وهو الجاذبية المضادة..
وأخذت النوارس تتحطم أمام أعينهم ، وتتألق شاشات الرصد بضوء الانفجار الرهيب وحاولت أكثر من سفينة أن تفلت من هذا المصير المرعب ، ولكن ما حدث كان يفوق كل تصور لهم !..
لم ينج من الانفجار سوى سفينتيْن ، هما السفينة الأم التي تستقلها (سوزان) ومن معها ، والسفينة (سوسر) التي أصيب الجانب الأيمن لها ، وراحت تتخبط في الفضاء مع القطع المتناثر من حطام النوارس والسفن الأربع المُحطمة ..
وجاء صوت (طارق) هاتفًا في مرح :
- لقد نجحنا لنَعُد إلى مسارنا القديم ولننطلق بأقصى سرعة ممكنة ، وحالاً، قبل أن يفيقوا من هوْل المفاجأة .
قالت (مروة) في فرح :
- لك هذا يا سيّدي .
وانطلقت (صقر) في مسيرتها الأساسيّة تاركة خلفها حطامًا بلا حدود .
وتركت أيضًا السفينة الأم براكبيها الذين أصابهم الذهول ، واشتعلت داخل

(سوزان) نيران تكاد تساوي اللهيب المتراقص خارج السفينة من فعل الانفجارات ..

راحت تصرخ في فزع وشبه جنون :

- غير معقول !!.. مستحيل !.

وراحت الدموع تتراقص في مآقيها وتسيل على خديها بينما ارتفع نشيجها حتى أصبح كنشيج طفلة تُجبر أباها أن يجلب لها لعبة تحبها ، وازداد ابتعاد المركبة (صقر) عن مجال سفينتها ، وازدادت الحسرة والألم بداخلها إلى ما لا حدود ، ولكن كيانها كان يشتعل وعقلها يكاد أن يتوقف إن صَحّ التعبير ، والرغبة في الانتقام داخلها تزداد..

الانتقام مهما كلفها الأمر..ستنتقم..وسيكون إنتقامها هائلاً.

***

راحت المركبة (صقر) تقطع الفضاء الممتد أمامها إلى ما لانهاية ، وقد استسلم أفراد المجموعة للنعاس بعد أن أطمأنوا أنهم إبتعدوا كثيرًا عن مُطارديهم ، تاركين كل شأنهم للطيار الآلي ، وشمل السفينة الهدوء العجيب الذي يتخلله صوت الكمبيوتر الآلي كل بُرهة مُعلنًا عن حالة الاستقرار الكلي والهدوء النسبي فيما حولهم ، بينما أمتد الفضاء في الخارج وكأن لانهاية له، وكأن السفينة لم تقطع فيه مترًا واحدًا ، والنجوم تتلألأ بشدة واللون الرمادي المُقارب للأسود هو المسيطر على الفضاء مع إضاءات قوية تومض لدقائق ثم تخفت تدريجيًا ..

وبغتة كان هناك جسد يتحرك داخل السفينة في وهن ، جسدٌ خرّ مغشيًا عليه لأكثر من ساعة وأكثر، إنه (رأفت)الذي استعاد وعيه، وبدأ يتفقد السفينة وقد تحامل على نفسه حتى يبدو قويًا..

جلس إلى مقعد القيادة ، وأخذ يدرس البيانات الواردة أمامه على شاشات

الكمبيوتر المركزي ، التقارير تقول أن الحالة صفر ..ولا أعداء في الجوار ..

وكم كانت دهشته عميقة وهو يقرأ التقارير التي تصف المعركة التي دارت منذ قليل ، وابتسم في ثقة وهو يغمغم لنفسه :

- إذًا فقد تلقت (سوزان) صفعة جديدة..أعد أنها لن تكون الأخيرة.

يعد منّ ؟! ..لاحظ أنه يخاطب جهاز الكمبيوتر ، فضحك بصوت عال واتسعت ابتسامته وهو يردف :

- هائل يا (طارق) .. هائل يا بطل .

نحّى القائد الآلي جانبًا ، وطفق يقود السفينة بنفسه وقد أخذ على عاتقه أن يصل إلى المجرة (هيرموسيس) في أقرب وقت .

مرّت ساعات وهو على وضعه أمام أجهزة القيادة ..

لقد كان ذهنه يعمل بكل دقة وتفكيره ينتظم ، بعد أن زاوله شعوره بالضعف والتعب .

أخذ الكمبيوتر المركزي يُعلن مرة أخرى المسافة التي قطعتها السفينة ويسجل إحداثيات المكان خارجها ، بهذه السرعة ستكون المجرة الجديدة أمامهم بعد أسبوع على الأكثر ..

أخذ (طارق) يُزيح الكسل جانبًا وهو ينهض من فراشه ويتطلع إلى الساعة الإلكترونيّة أمامه .. ياه.. لقد نام لأكثر من ست ساعات!

ضغط زرًا إلى جواره وهو يتناول كوبًا من الماء جرعه دفعة واحدة ، ظهرت أمامه صورة الفضاء الخارجي الممتد ، وأعلنت الشاشة خلو الفضاء حولهم من أي سفن معادية ، وعن السرعة القصوى التي تسير بها المركبة ، أشرق وجهه ولانت ملامحه وهو يتناول شطيرة بجانبه يقضم منها ويحمد الله أن السفينة مُجهزة بكل ما يحتاجون إليه من غذاء لشهور طويلة ، وأنهم لن يعيشوا على الكبسولات العقيمة التي كان يستخدمها روّاد الفضاء في السابق.

كان ذهنه مشغولاً بما قد يقابلهم من أخطار ، هم في غنى عنها ، ولا يعرفون مصيرهم بعد ، الكل يعتمد عليه ويجب أن يكون ذهنه صافيًا حتى يستطيع أن يُفكر جديًا في أي طارئ يقابلهم ، نقلت له الشاشة صورة لغرفة القيادة ، وازداد إشراق وجهه عندما وجد (رأفت) يحتل مقعد القيادة، فترك شطيرته وغادر الغرفة وهو يحث السير ليهنئ (رأفت) بشفاءه وقد أشرق وجدانه اشراقا جميلاً لاطمئنانه على صحة صديقه .

دلف إلى القاعة الرئيسية ، فاستقبله(رأفت)بابتسامه وهو يقول مُحيّيًا:

- أهلاً يا بطل .. لقد فعلت ما كنت أعجز أنا عنه .

بادله (طارق) الابتسام وهو يقول :

- بل أنت البطل الحقيقي ، لولا شجاعتك ما كُنا داخل تلك السفينة الآن.. بل لكُنا داخل سجون الرياسة مدى الحياة .

ضحك (رأفت) :

- ولولاك لكُنا عبارة عن حُطام أو أشلاء ممزقة في الفضاء إلى أبد الآبدين.

ابتسم (طارق) وهو يرد :

- دعنا من الثناء الآن ..ولنر ما أمامنا من مهام .. أليس كذلك؟

أجاب (رأفت) قائلاً :

- بلى..وأظن من المفروض أن يصحو الأفراد حتى نقرر ما سنفعله .

قال (طارق) بمودة :

- نعم .. لنُطلق جهاز الإيقاظ .

* * *

خطت (مروة) إلى القاعة في خطوات ذات إيقاع خاص ومن عينيها الجذلتين ينطلق ألق وضّاء يكاد يُنير القاعة ، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامه رقيقة دقيقة ، تشي بالفرح والانتصار ..

تطلع إليها (طارق)وهي تجلس على مقعدها وتستند بمرفقها إلى مسنده دون أن تنبس بحرف ، كأنه يكفيها شعورها بالانتصار عن كل كلام الدنيا ،ولم تمر دقائق حتى كان بقية المجموعة قد اتخذوا أماكنهم ..

شعور النصر خلب لبّ الجميع وجعلهم يتبادلون النظرات الوجلة الضاحكة في صفاء عجيب ..

لاحت بادرة كلام على لسان (طارق) وتحركت شفتاه وهو يقول:

- أظن أن الراحة التي أخذناها قد انتهت .. وحان وقت العمل .. ولكن قبل هذا أريد أن أهنئكم على نجاحكم وأحدد لكم بدقة إنها ليست النهاية.. بل هي البداية فقط فمازال أمامنا الكثير .. الكثير جدًا..

هزّ (راجح) رأسه وهو يردد :

- كلنا ندرك هذا ونعلمه جيدًا ، ولكننا لم نفكر بعد فيما نحن مُقبلين عليه فلقد خططنا للسرقة - إن صح التعبير - واستطعنا أن نفرّ من أعدائنا ، ولكن ينقصنا أننا لم نفكر فيما بعد ذلك .

قالت (مروة) ومازال بريق عينيها في ازدياد :

- أظن أننا سنبلغ المجرّة الجديدة بعد مدة ليست ببعيدة ، وبعدها نقرر ماذا سنفعل .. أليس كذلك ؟

أجاب (طارق) قائلاً :

- هذا ما اجتمعنا كي نُقرره .. فهل سنكون مُستعدين لمعركة جديدة إذا وُجدت ؟.. أم لا ؟

ابتسم (رأفت) وهو يقول :

- بالطبع سنكون مستعدين لأي خطر قادم وسنكون على أهبّة الاستعداد لأي طارئ قد يؤرق تفكيرنا .

صرخ (سعد) فجأة وراحت عيناه تتسعان حتى تظن أنهما سيخرجان عن

مكانهما،وامتزجت ملامح وجهه في تعبير رهيب عن الألم الذي يشعر به ، وراحت يداه تعتصران رأسه في قوة وعنف شديدين ..

التف الجميع حوله وراحت نظراتهم تتفحصه دون أن يظهر على أحدهم أي أثر للفهم ..

قامت (مروة) بسرعة وأخذت تربت على كتفه وهي تقول في لهفة حقيقية وقد انحنت عليه :

ـ ماذا هنالك ؟.. أتشعر بشيء ؟.. تكلم أرجوك ..

صرخ (سعد) مرة أخرى وهو يضغط على أسنانه التي تصطك بعنف شديد وقال في ضعف :

ـ إنني أتلقى إشارة ما .. إشارة تكاد تمزق عقلي ، ولا أستطيع أن أتبين مصدرها أو حقيقتها .. إنها إشارة تحذير !.

قاطعه (طارق) قائلاً :

ـ تحذير من ماذا يا رجل ؟.. أجب بالله عليك !..

لاح للجميع أن ملامح وجه (سعد) قد أخذت تهدأ قليلاً ولكنه مازال مُمسكًا برأسه بكلتا يديه ضاغطًا عليها قدر استطاعته ..

هربت الدماء من عروقهم وهم يرونه أمامهم يتألم دون سبب واضح وصريح .. وهالتهم حالته التي أربكت تفكيرهم ..

مرت برهة من الوقت والجميع يطالع وجه (سعد) ويستنطقه أن يقول ما لديه .. وارتسمت اللهفة في العيون .. وسكن الخوف في القلوب ..

تنفس (سعد) بعنف ثم أطلق تنهيدة حارة وهو يقول :

ـ لقد كان أفظع ألم أشعر به في حياتي كلها !.

سأله (رأفت) :

ـ والسبب ؟

أجاب (سعد) بوهن :

- لا اعرف حقيقة ،ولكن هناك من حاول أن يُدخِل إلى عقلي إشارة غامضة مريبة لم أفهمها ، ولكنها كادت أن تحطم خلايا مخي ، هناك من يريد أن يخبرنا عن شيء لا نفهمه ، وأظن إنها رسالة بُثت في الفضاء منذ زمن ، بعيد ولكني لستُ على يقين !

قال (طارق) في هدوء :

- من أين أتت الإشارة ؟..من داخل السفينة أم من خارجها ؟

تأمله (سعد) لثوان ثم أردف :

- أكاد أجزم أنني تلقيتها من داخل السفينة .

قال (رأفت) مُستوضحًا :

- ولكن ليس لدينا من يستطيع أن يبُث إليك رسالة بهذه القدرة الفائقة!..وأيضًا لا يملك أحدنا قدراتك العقلية.. فمن يكون مُرسلها ؟.

قال (طارق) بسرعة :

- يجب أن نفحص السفينة جيدًا ، كل شبر فيها وكل بوصة .. فلا مجال أمامنا للخطأ .

همس (سعد) قائلاً :

- عقلي خزن الرسالة كما هي ، عندما فشل في معرفة فحواها .. فقد خزنت كل موجة فيها وأستطيع بجهد بسيط أن أبثها إلى المُترجم الفضائي.

قالت (مروة) بسرعة :

- وماذا تنتظر يا رجل؟.. بثها بسرعة

أتاها صوت (طارق) آمرًا :

- كلاً..ليس الآن..ربما كانت الرسالة فيروس يُصيب المترجم الالكتروني ، ويتسرب إلى كمبيوتر السفينة، فيُدمر خلاياه.

جاء صوت (رأفت) موافقًا وهو يقول :

ـ نعم .. ربما كانت الرسالة مجرد اجراء دفاعي لا نعلمه بعد ، ويكون هناك طريقة ما ، لاتصال السفينة بمركز الرياسة .. فلننتظر حتى نتخطى المجرة وندخل إلى العالم الجديد .

قالت (مروة) في قلق :

ـ لكن ربما كان التحذير صحيحًا ، وقتها قد نندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

غاص (طارق) في مقعده وظهر التفكير جليًا على ملامح وجهه، وراحت العيون تستحثه أن يُبدي رأيه..

نأى بوجهه عنهم لوهلة ثم قال :

ـ أظن من الأفضل الانتظار ، ولنكن مستعدين لأي خطر مهما بلغت ضآلته

مسح (سعد) على رأسه بيده وكأنه كان يحاول أن يطرد خاطرًا ما.. وقد خلع عليه الألم حيرة بالغة..

وراحت خلايا عقله تحاول جاهدة أن تُفسّر الإشارة .

***

(4)

أخذت السفينة (سوسر) طريقها إلى الأرض ، فقد جاءتها الأوامر بالعودة إلى المركز ، وكانت الأوامر دقيقة وصارمة ، فالأضرار والإصابة في السفينة كثيرة وما عولج فيها يكفي بالكاد أن تعود إلى الأرض وبسرعة .. ، لذا راحت تقطع المسافة المتبقية وقائدها يحاول أن يحافظ على اتزانها وسرعتها ، وأفراد الطاقم قد أصابهم الحنق والغيظ لما أصاب سفينتهم .. وبسبب الخسارة الكبيرة التي حدثت لهم ..أو بمعنى أدق الهزيمة التي لم يكن يتخيّلونها ..

وتابعت المركبة الأم التي تستقلها (سوزان) ومن معها حركة السفينة (سوسر) عن قرب ، وكان هناك بركان يغلي من الانفعالات الغاضبة بداخل (سوزان) ومن برفقتها ، وقد حاولت جاهدةً أن تمتص غضب مجلس الحُكم ولكن من الجليّ أنه كان غضبًا عارمًا ، ولاح لها المستقبل بائسًا فاشلاً ، ولكنها استطاعت أن تقنعهم أن في استطاعتها مواصلة حملتها ضد لصوص الفضاء ، وأنها أعدّت نفسها ووهبت حياتها لهذا الهدف ..

وجاء الأمر بالعودة أولاً ، ثم مناقشة الموضوع على أرض الواقع .

جاء صوت الملاّح الفضائي قويًا وهو يقول :

ـ دقيقتان وندخل المجال الأرضي .

أطلقت (سوزان) تنهيدة ألم وهي تتساءل :

ـ هل تستطيع المركبة (سوسر) أن تهبط بسلام ؟

قال قائد المركبة الأم :

ـ قائدها زميل قديم وهو يملك حنكة بالغة .. وأعتقد أنه سيهبط بها دون أضرار جديدة .

هزّت رأسها علامة الفهم وهي تقول :

ـ إذًا لا مجال لنا لمُتابعتها الآن ، و لننطلق بالسرعة القصوى حتى نصـل

إلى الأرض في أقرب وقت ممكن .

قال قائد السفينة هامسًا ليتجنب غضبها :

- لا نستطيع، فالأوامر واضحة .. مُرافقة السفينة إلى أن تهبط .

ابتلعت حنقها وهي تقول :

- إذًا .. عليّ أن أنتظر .

ركنت إلى الصمت وتلوّنت ملامح وجهها بحقد طاغ ، والقائد يتابع إصدار الأوامر إلى الملاحين والمركبة تتابع ، لم يعد مفر من المُضي إلى النهاية ولا بد أن تكون نهايتهم هم.. وليس نهايتها هي.

ولكن من يضمن لها قرار مجلس الحُكم؟.. ربما أجبروها على الاستقالة، وربما عزلوها عن منصبها الذى وصلت اليه بعد طول معاناة ، إشتطت في تفكيرها كثيرًا ، وجدت أفكارها كلها مجنونة وغير معقولة ، هل تُضحّي بمستقبلها الآن ؟ ، هل من الممكن أن تستولي على المركبة الأم وتستمر في مُطاردة الهاربين ؟ جَفلت عندما وجدت عقلها يثور عليها أن تفعل.. سيكون مصيرها الإعدام..

وجدت نفسها تهتف فجأة :

- كلاّ ..غير معقول !..

التفت إليها قائد السفينة مُستفسرًا ، فأشاحت بوجهها عنه وهي تتمتم في حنق :

- لاشئ .. كنت أحدّث نفسي .

هز رأسه مُتفهمًا :

- كلنا نفعل هذا أحيانًا كثيرة .. أظن من الأفضل لكِ أن تستريحي الآن .

أردفت في بساطة :

- ليس الآن .. عندما نهبط سوف أستريح كثيرًا.

خرج الدكتور (جوهر) عن صمته الذى كان يلوذ به ، وتمتم بهدوءه:
- ما تُفكّرين به غير صحيح .
نظرت إليه دهشة وهيَ تتساءل :
- وكيف تعرف فيمَ أفكر ؟
اتسعت ابتسامته وهو يتفحص وجهها بالكامل ويقول :
- أنتِ تعلمين جيدًا إنني دكتور في التحليل النفسي ،وأستطيع بكل بساطة أن أقرأ تعبيرات وجهك وأعرف فيما تفكرين .
رمقته في تحدٍّ وهي تقول :
- كُفَّ عن هذا الهراء.. ترهاتك لا تشغلني الآن .
اتسعت عيناه وهو يحدق بها ويتساءل :
- عِلمي الآن أصبح هراءً ؟
امتعض وجهها وقالت في صوت مبحوح :
- لا مجال لكثرة الجَدَل الآن .. ولننتظر لنرى ما ستسفر عنه الأمور .
- لكِ هذا يا سيِّدَتي .
قطع حديثهما صوت الملاّح الفضائي وهو يقول :
لقد اقتربنا من الأرض وسنصل بعد ربع الساعة إلى القاعدة الفضائية.. فأرجو أن يلتزم الجميع بمقاعدهم .

* * *

استقبل مركز الحُكم خبر وصول السفينة بشئ من اللامبالاة،وراحت الحركة تزداد داخل الوكالة الفضائية والمعلومات تتلاحق بلا توقف، وصدر الأمر لـ(سوزان)بالاتجاه المباشر إلى المنطقة(د).. فحص الجينات- المصعد الخاص- الشعاع الفيروزي الذي يتحوّل بالتدريج إلى اللون الأحمر ثم الأخضر الممر الممتد والمرايا المُنتشرة على جانبيْه - القاعه الدائرة الخالية تمامًا من

أي أثاث - الشُرفة الدائرية – والكراسي التسعة ..
(سوزان) جالسة على مقعدها تترقب فى قلق الشُرفة فوقها ..
مرّت برهة والمقاعد التسعة خالية تمامًا ، كان الشحوب يعلي وجهها بشدة ويُخلف تقطيبة وعبسة على ملامحها ، وأنفاسها تتلاحق في صدرها وخفقات قلبها تتصاعد بلا هوادة وكأنه سيتوقف ..
وأتاها صوت الرئيس فجأة عنيفًا وصاخبًا :
- لقد فشلتِ .. أتعرفين مصيرك الآن ؟
حاولت أن ترفع عينيْها الرماديتين لترى من أين يأتيها الصوت فلم تستطع فأجابت في خفوت :
- إنني أعترف بذلك .. ولكنني أريد فرصة أخرى .
أتى صوت الرئيس غاضبًا:
- وإلى متى سنظل نعطيكِ الفرص ؟
ازداد تقطيب وجهها وهي تقول :
أرجوك يا سيّدي .. فرصة أخيرة فقط .
لمحت عيناها الرئيس واقفًا في أعلى الشرفة فوقها ، ولا أحد غيره .. وعيناه تصبان غضبًا ومقتًا بلا حدود ، وكادت الدماء تجف في عروقها وهي تسمع صوته الأجَشّ وهو يقول :
- لقد جاء قرار مجلس الحُكم بعزلك ومُحاكمتكِ.
وضعت يدها على فمها لتمنع صرخة كادت أن تنطلق ، والرئيس يُتابع:
- ولكنّي أقابلكِ وحدي الآن ، لأن لي رأي مختلف ، رغم عنادك الذي سبّب لنا كل هذا .
رأى عينيْها الرماديتيْن تتوسلان إليه أن يُكمل فقال :
- سأعطيكِ أنا هذه الفرصة الأخيرة ..وسأتحمل معك جزءً مما حدث ، ولكن

هناك شرط واحد .

تمتمت في لهفة واضحة :

- قل يا سيّدي ..كلّي آذان مصغية .

حدجها بنظراته الساخرة وهو يُردف :

- أن تأتي بهم أحياء ، فقد هزّوا هيبة المجلس ويجب محاكمتهم أمام العامة واعدامهم .. هل تفهمين؟ .

أومأت برأسها، فاستطرد قائلاً :

- وإلا سنُضطر إلى محاكمتك وإعدامكِ أنتِ .. أظن هذا واضحًا .

أومأت برأسها مرة أخرى وقالت :

- لك ما طلبت يا سيّدي ..وأعدك إنني سأبذل جهدي لتنفيذه .

- لقد وفرتُ لكِ كل ما يلزمكِ في رحلتك إلى المجرة (هيرموسيس)، وسيكون تحت طوعك سرب كامل من المراكب الفضائية والمقاتلات خارج حدود المَجرة، ينتظر الأمر بالتحرك ،سأعطيكِ الفرصة كاملة حتى لا يكون هناك أي مُبرر للفشل ،وسيخضع الجميع لأوامرك أنتِ فقط تبعًا لمقتضيات الأمور،ولكن إياكِ والفشل .. أنتِ تعرفين ما سينتظرك إذا فشلتِ .. أظن أن كلامي كان واضحًا وصريحًا .

تمتمت مأخوذة :

- أشكرك سيّدي.. و لن أخذلك .

أشار لها بالانصراف وهو يهتف قائلاً :

- *انصرفي* .

قامت من مقعدها ، وعقلها يكاد أن تتمزق خلاياه ، ورأت الشرفة تتباعد،والرئيس يختفي ..

غادرت القاعة وسارت في الممرات والسؤال يُلح في عقلها ..

تُرى من سيفوز في النهاية ؟ ..
مَنْ ؟

***

أخذت المركبة (صقر) تشق طريقها إلى المجرة الجديدة وكان الترقب هو العامل المُسيْطر على الجميع ..

وكانت الرسالة التي سببت كل هذا الألم لـ (سعد) لاتزال مُختزنة في عقله كموجات يستطيع أن يبثها في أي وقت ، وتلك كانت إحدى ميزات الحاسوبيْن الذين يتمتع (سعد) بوجودها في جسده ، وأخيرًا بعد مرور أسبوع كانت السفينة قد دخلت إلى المجرة (هيرموسيس) ،وراحت(مروة) تُوصّل الأقطاب الكهرومغناطيسية برأس (سعد) الذي أستسلم ليَدها ، وأمال رأسه إلى الوراء مُسترخيًا تمامًا ، بينما وقف (طارق) يتابع الموقف في هدوء ، واستقر (رأفت) خلف أجهزة القيادة مُتحكّمًا في مسار المركبة ، مُحاولاً أن يُثبت لنفسه أنه أفضل من يقود تلك المراكب الفضائية ، وكان (راجح) مُنشغلاً عن الجميع بتركيب إحدى الأجهزة الإلكترونية التي يحاول أن يُعدّل في برنامجها لسبب ما.

أخيرًا انتهت (مروة) من عملها ، ولمحت شبح ابتسامة رضا على شفتيْ (طارق) فرَفعت صوتها قائلة في ثبات :

ـ لقد انتهيت من تثبيت الأقطاب وجاهزة للتنفيذ.

نظر (طارق) إلى (سعد) الذي رفع عينيه إليه قائلاً :

ـ وأنا أيضًا جاهز .

هزّ (طارق) رأسه وأطلق تنهيدة وهو يقول :

ـ نفّذي على بركة الله .

ضغطت (مروة) على جهاز الكاشف الإلكتروني ، فراح يتلقى موجات عقل (سعد) التي أخذت تتماوج على الشاشة أمامهم كأنها أمواج بحر هائج ، ثم

ظهر الألم مرة أخرى على ملامح (سعد) .. ولكنه ألم طفيف ، وراح جهاز الكاشف يحاول تحويل الموجات إلى صور تليفزيونية تلك الصور التي أتت مهزوزة أوّل الأمر ، ثم بدى أنها في طريقها إلى أن تظهر جليًا ، وبالفعل بدأت الصورة تتضح وبدأ ينبعث من الجهاز صوتٌ غريبٌ بلغةٍ غير مفهومة ..

استقبلها الكاشف الالكتروني الذي أخذ في محاولة ترجمتها بلا فائدة وأخيرًا .. أتى الصوت الآلي بعد مُدّة رتيبًا مملاً :

- اللغة غير معروفة .. خمس ساعات لترجمتها .

راحت الصور على الشاشة تتلاحق لمناظر طبيعية رائعة وسماء مفترشة بالنجوم ، ثم بدأت تتكون صورة لشخص ما غير واضح المعالم وكأنه صورة سالبة لفيلم قديم ، و(سعد) مستسلمٌ تمامًا ، ثم بدأت الصورة تتحول إلى كوكب رائع مسكون ، تتحرك به سيارات صاروخية لم يشاهدوا مثلها من قبل، ومركبات كبيرة الحجم وحيوانات غريبة لم يكن لها مثيل على كوكب الأرض ، ثم بدأ ضباب شديد يلفُّ الكوكب وجسم ضخم يقترب منه في سرعة مجنونة ، وازداد بريق عينيْ (سعد) توهُّجًا، والجسم الضخم يقترب ويقترب حتى بَلغ الغلاف الجوي للكوكب ثم بدأ الهبوط بسرعة فائقة بل نستطيع أن نقول السقوط والاصطدام .. وأتى الصوت الآلي مُكررًا :

- *اقتربنا من ترجمة اللغة .*

وسطعت صور سالبة لأهل الكوكب ،إنهم قريبون الشبه بالآدميين ولكن لا تستطيع أن تتبين معالم الوجه ..

وبدأ حدث جديد على الكوكب ، لقد حدثت عدة انفجارات ، ثم اشعاع غريب أخذ ينتشر على الكوكب كله ، ويفترش الكوكب في سرعة رهيبة .. وضباب شديد لا تستطيع أن تعرف مصدره يلف كل شئ وأي شئ ، ثم رأوا أغرب ما يحدث ، لقد بدأ أهل الكوكب في الاقتتال ، وراحت موجة رهيبة من الجنون

تُسيطر عليهم ، القتلة في كل مكان والضحايا بالملايين، والقنابل يتم تبادلها في جنون ، قنابل تفوق أي تصور بشري ، فلقد أُبيدت قارات كاملة على ظهر الكوكب في ساعات قليلة ..

اتسعت عيون المجموعة في دهشة رهيبة ، وقد وقفوا مُتسمّرين في أماكنهم يتابعون الصور التي تتلاحق عليهم بلا توقف ، دمار شامل .. ومُخيف، ومرّ الوقت وصور الدمار تتكرر بلا توقف ..

ثم أتى صوت الكمبيوتر الآلي رتيبًا مُملاً كالعادة وهو يقول :

- تم تحليل الشفرة وجاهز للترجمة الفورية .

أشار (طارق) بأصبعه في عجالة إلى (مروة) أن تبدأ الترجمة .. ضغطت (مروة) على أزرار الكمبيوتر المُترجم وهي تحاول أن تكون الترجمة مُتابعة للصور ، وأتى الصوت عميقًا رخيمًا وكأنه ينصبُّ عليهم من السماء :

- "تحيّة إلى عابري المجرة ، أنا إمبراطور الكوكب (لورنز) أو ما كان هكذا ، إنني أطلق ذلك التحذير في الفضاء لأنه تبعًا لتطورات التكنولوجيا التي تحدث في كواكب الكون ، أتوقع بعد وقت ليس بطويل أن يأتي رُوّاد من كواكب الكون المُتّسع لكي يجوبوا الكون ، وقتها قد يتعرضون مثلنا لخطر الفناء ، إنني أبث آخر رسالة لي قبل أن أجن مثل الجميع ، حسبما ترون الآن أمامكم - فأنا أثق في حُسن حدسكم..فإن استطعم أن تتلقوا هذه الرسالة فأنتم على أعلى درجة من التكنولوجيا..لذا ستفهمون ما تشاهدونه - لقد جاء الخطر من السماء من عمق الكون ،انطلقت كتلة الشر بكل عُنفها وقوّتها لتضرب الكوكب (لورنز) ، ارتطمت به في عنف ثم صار الجنون هو الطابع المُسيّطر على كوكبنا ، لقد ارتطم ذلك الكويكب الهائل بنا ، ثم انطلقت منه أشعة الشّر المطلق، الشر الذي سيطر على الجميع .

بدا الأمر أول الأمر بقتال شوارع ، لا سبب له ... ثم أطلق أمـراء الكوكـب

أوامرهم إلى الجنود بالاشتباك ، وانطلقت عندها المقاتلات تتقاتل في فضاء الكوكب ، وشرعت القنابل تُدمّر كل شئ ، وحصدنا ثمار التطور والتكنولوجيا، وراح القتلى يزدادون كل ثانية حتى امتلأ سطح الكوكب بالقتلى وانتشرت الأمراض والأوبئة ، والجنون في ازدياد ، الشر يفرض سيطرته .. والدمار يجتاح الممالك .. أنني أبث هذه الرسالة وأنا في وكري السري المضاد لجميع أنواع الأسلحة والأشعة ، ولكنني لن أستطيع أن أصمد طويلاً ، فالهواء يكاد أن ينفد.. والطعام انتهى بالفعل ، أنتم ترون الآن واحدًا من آخر سكان هذا الكوكب..انتهت رسالتي الآن..ولكن للمرة الأخيرة أحذركم من الاقتراب من كوكبي أو دخول مجاله مهما كانت الأسباب ، إنه الموت في أصدق صوره وأبشعها ..وهذا تحذيري الأخير ".

ثم بدأت الصور على الشاشات تتراقص ،وبدأت الصورة تتباعد وتتباعد حتى تلاشت تمامًا .. وسيطر الصمت على الجميع ..

صمتٌ بطعم الموت ..

***

في نهاية القرن العشرين ، وداخل أحد المعامل الخاصة ، قبع الدكتور (راشد حلمي) على مكتبه وقد دس يده في شعره الغزير ، وراح يداعب فروة رأسه وكأنه يحاول أن يُنشّط مخه القابع في جمجمته ، وقد ارتسم الجدّ بكل صوره على ملامح وجهه الذي غطته تقطيبه حادة والأوراق أمامه لم تكتمل بعد .

منذ سنوات طويلة وهو عاكف على أبحاثه، لقد اكتشف أخيرًا سرّ المُعادلة، ولكنه إلى الآن لم ينجح بعد في التنفيذ ، لقد أرسل مقعده وبعض المناضد إلى المستقبل ولكنه إلى هذا الوقت لم ينجح في إرسال شيء حي، التجربة ناجحة بكل تأكيد، وإلا ما أصدر جهازه ذلك الأزيز الحاد ، كلما أرسل إحدى أدواته

المعمليّة إلى المستقبل ..

لقد اكتشف سر الزمن ، ولكنه لم يستطع أن يرسل أي شئ إلى الماضي..المستقبل كتاب مفتوح يستطيع أن يُضيف إليه ما شاء ولكن الماضي انتهى ولا سبيل إلى تغييره ..

لقد رفضوا بحثه في مركز الأبحاث وقالوا أنه مجنون ، عشرُ سنوات مضت وهو مُعتكف عن البشر ، يحلم بالوصول إلى ما يريد ، إمكانياته المُتواضعة جعلت الحلم يتأخر كثيرًا ، ولكنه الآن يثق تمام الثقة في نجاحه، بل أيقن أنه سيُحدث تغييرًا في العالم بتجربته المُدهشة ، أخذ يُهيئ نفسه للتجربة ، أعدّ مُسبقًا ما يحتاج إليه ، سيُغادر هذا الزمن بكل جنونه وعبثه،سيبحث عن الأفضل..سيذهب بنفسه إلى هناك..إلى المستقبل..ولكن ما كان يُقلقه حقًا هو أي زمن سيختار ؟ ، وأخيرًا اهتدى تفكيره إلى أن يُبحر إلى القرن الثلاثين..سيختار القرن الثلاثين ..

ألفُ سنةٍ كافية لكي يتغير العالم ..

قام من على مقعده واتجه إلى جهازه المدهش ، عدّل من التواريخ وأخذ ينقل بعض أدواته إلى داخل الجهاز ..

اتعب جسده المجهود الذي يبذله ، مكث لدقيقة يلتقط أنفاسه اللاهثة ، تناول كوبًا من الماء جرعه دفعة واحدة ، ثم اتجه بخطى حثيثة إلى جهازه ودلف إلى داخله .. وأدار الجهاز ..فضاء رهيب أحاط به ..

الصور تتلاحق أمامه في تعاقب مدهش أذهله ، يشعر أنه يسبح في بحر مُتلاطم الأمواج وهو يجدف بيده محاولاً الوصول إلى بر الأمان ، وعقله يكاد أن يذهب مُغادرًا مكانه ..

روّعه ما يراه و كاد أن يُجَن ، التجربة ناجحة .. والرحلة تمتد به كأن لا نهاية لها .. وراح الظلام يُطبق على ما حوله ، ظلام رمادي داكن ، لا يستطيع

أن يخترقه بعينيه ..

تثبّت بمقعد الجهاز وتصلبت يداه على مسندي المقعد ..وأغلق عينيه..

وفجأة أخذ ضوءٌ رهيب يغمر المكان ، ضوءٌ لا يبين مصدره ، ولكنه آخذ في الازدياد ..

واتسع بؤبؤا عينيه و حدقتاه،وراح يحملق فيما حوله في هوس..

لقد فعلها !..

نعم فعلها بكل تأكيد ..

وأخيرًا بدأ الضوء يضعف وأزيز الجهاز يخفت ويخفت ، وفي النهاية هدأ كل شيء .. وخفّ ارتجاج الجهاز .. وسكنت حركته ..

تأكد من التاريخ للمرة الثالثة على الأقل ، إنه في بداية القرن الثلاثين.. هكذا يشير الجهاز وهو يصدقه ، إنها أول آلة زمن بعيدًا عن كل قصص الخيال العلمي التي لم يُغرم بها في حياته قط ..

توجس لأول وهلة أن يفتح باب الآلة ، سيمكث قليلاً حتى يستجمع أفكاره ، إنه غريب في زمن غريب ، وفي نهاية الأمر قرّر أن يخرج من الجهاز ، إرتجف قلبه بين ضلوعه في شدة وعنف غير مسبوقيْن ، ارتعشت يداه وتسمر في مكانه يتطلع فيما حوله ..

لقد استقرّت الآلة على أرض فضاء خالية وكأنها ممتدة إلى مالا نهاية، لا أثر فيها لأي مخلوق ، تصوّر لوهلة أن الحياة على الأرض قد انتهت وأنه آخر البشر ، جعله هذا التفكير يزداد عبوسًا وتقطيبًا ، إذًا ما فائدة رحلته .. هل يعود؟ ..

الرمال تمتد أمامه إلى أبعد مدى ، والقمر بالكاد ينير له الطريق ..

أخرج كشافه اليدوي وراح ينقله من يد إلى أخرى محاولاً أن يستوضح معالم الطريق وعقله يعمل بلا هوادة إنها النهاية بالنسبة له .

شك أنه لمح ظلالاً تتحرك ، هّز رأسه وكأنه ينفض هذه الفكرة ، وحرك عينيه في كل اتجاه ..

السكون مطبق ..

سكونٌ لا يقطعه سوى صوت الرياح التي تذرو حبات الرمال فتصطدم الرمال بوجهه وتلسعه في شدة ،غطى وجهه بيده محاولاً أن يتفادى حبات الرمل التي تصطدم به في عنف .. سِنّه لا يسمح له بكثرة بالحركة .. ولكنه يحاول بكل جهده أن يستمر في المشي ، تنبه بغتة إلى أن هناك همسٌ يدور حوله أدار وجهه في المكان لا يرى شيئًا..

صاح بكل قوته ، خفت الهمس ، ثم تحول بعد ذلك إلى همهمات غامضة.. جرى،استجمع كل شجاعته وراح يجري ويجري والرياح تعصف حوله في جنون .. رياح لم يرَ شدتها من قبل ..

راح يجري وهو يشعر أن هناك ما يُتابعه ، استمر في الجري والخطوات تقترب منه وتقترب .. والهمهمة تتزايد وتتضح لبرهة ثم تعود غامضة ، إنها أصوات بشر بالتأكيد ..

أو بقايا بشر ليس متأكدًا !.. ولكنه سيستمر في العدْو .. فهو لا يعرف ما يواجهه بالضبط ..

وأخيرًا أطبق عليه اثنان لم يرَ معالم وجهيْهما ، ولكنه أحس بأنفاسهما الحارة تلفح وجهه ، حاول أن يُحرّر يديه منهما لم يستطع ، بعد عِدّة مُحاولات للتملص ، استسلم لهما وترك لهما جسده الذي أخذا يدفعانه أمامهما في عنف.. أدرك أنه ميّت لا محالة ..

بعد كل ما مَرّ به الليلة يقول ذلك ، ترك زمنه ليموت بعد ألف سنه في زمن آخر ، أليسَ هذا بجنون ؟ .. ليته ما فعلها ، لقد جاء شيئًا إذًا ..

لاحت له تبّة رملية أمامه وخلفها تراص مجموعة من البشر ..

إنهم مختلفون شيئًا ما عما يعرفه عن البشر ولكنهم بالتأكيد بشرٌ لا شك ، ويبدأ يُقنع نفسه بذلك وهم يدفعونه أمامهم لكي يستمر في السير ، خلف التبّة لمح مدخلاً لكهف ما ، إنهم من آكلي لحوم البشر ! ، أفزعه هذا الخاطر وراح يرتجف بين أيديهم في شدة ، كل شئ فيه يرتجف ، يداه ، وقدماه ، وجبهته ، وحدقتا عينيْه ..كل شئ يرتجف ..

لاحَ له الكهف من الداخل أشد غرابة ، فبه ممرات كثيرة وكلها مُمهدة بطريقة مدهشة ، وكلما بَعُد بهم السير عن مدخل الكهف لاحت له غرف على الجانبين ، مضاءة بنور هادئ أزرق ، إنهم يعرفون ما يفعلونه ..

وبعد مُدّة ليست بقصيرة دفعوه إلى إحدى الغرف المضاءة وأغلقوا الباب خلفه في إحكام ، حاول أن يُعالج رتاج الباب ، ولكنه بعد عدة محاولات أدرك حُمق محاولاته فالرتاج إلكتروني لا يُفتح إلاّ بشفرة خاصة، إنهم علي درجة عالية جدًا من التطوّر ، أو إنهم بقايا تطوّر إندثر ، ولكن لِمَ لا يسكنون سطح الأرض ؟..

سؤال آخر يُضاف إلى كل تساؤلاته منذ أن وطأت قدماه أرض ذلك الزمان.

***

(5)

الكوكب (لورنز) قبل النهاية بقليل ..

إحدى المؤسسات الحكومية القابعة في باطن الأرض ، الإمبراطور الأخير يجلس أمام شاشات العرض فائقة الحجم ، عاقدًا ساعديه أمامه وبريق عينيه يزداد تألقًا ، وجبينه مُقطب بدرجة رهيبة ، ضغط على إحدى الأزرار الموجودة بجواره ، دلف خادم طويل القامة يرتدي زيًا فضفاضًا.، انحنى (الخادم) بهدوء أمام (الإمبراطور) ثم قال :

- سيّدي .. هل تأمر بشئ ؟

هَز (الإمبراطور) رأسه وزفر في ضيق وهو يقول :

- هل انتهى العالم (فاوس) من تجاربه ؟

قال الخادم في هدوء :

- إنه يحاول جديًا إن يصل إلى الحل الصحيح لمُعادلته ، ولكنه يحتاج إلى وقت .

قال (الإمبراطور) والضيق يعصف به :

- وهل لدينا نحن الوقت الكافي لتعديل مُعادلته ؟

إبتلع (الخادم) لعابه وهو يقول :

- هذا ما نتمناه يا سيدي، وليته يتم في الوقت الصحيح .

قال (الإمبراطور) :

- أخبره إنني سأزوره الآن .

هَز الخادم رأسه قائلاً :

- أوامرك يا سيّدي .. هل من أمر آخر ؟

أجاب (الإمبراطور) في حيرة :

- لا .. حتى الآن .. إنصرف .

انصرف (الخادم) بعد لحظة بينما تسمرت عينا (الإمبراطور) على شاشة الرصد ، وقلبه يدق إلى ما لا نهاية ، وكأنه في طريقه إلى التوقف.

مرّت نصف الساعة قبل أن يُغادر (الإمبراطور) قاعته ويتجه بخطوات سريعة إلى مقر العالم (فاوس) ومساعديه ..

خطى إلى داخل قاعة المختبر ، قام المساعدون وانحنوا في تأدب كامل للإمبراطور ، الذي لم يأبه بهم وهو يتجه صوب العالم (فاوس) ، ويضع يديه على كتفيْه الذي انتفض جسده لملمس يد الإمبراطور ، فهب واقفًا وهو يقول :

ـ آسف يا مولاي، لم أكن مُنتبهًا لدخولك !.

قال (الإمبراطور) وهو يدفعه للجلوس مرة أخرى :

ـ لا يهم .. لا شيء يهم الآن .. المهم هو نتائج تجاربك .

قال (فاوس) في ثقة :

ـ لقد قاربت على النهاية يا سيدي.. ولم تمر ساعات حتى تكون القنبلة العكسيّة جاهزة .

قال (الإمبراطور) حانقًا :

ـ ولكن تلك الساعات القليلة قد تكلفنا الكثير.. الكثير جدًا .

هزّ العالم (فاوس) كتفه وهو يقول :

ـ أعلم هذا يا سيدي ولكنني أبذل قصارى جهدي حتى أكون جاهزًا في الوقت المناسب .

قال (الإمبراطور) في يأس :

ـ هل تعلم ما وصلنا إليه الآن ؟

أجاب (فاوس) :

ـ إنني أتابع ما يجري عبر شاشات الرصد ..إنه شيء رهيب .. رهيب جدًا ، ولولا أن ذلك المركز مُغطى بسبائك (السيزيوم) لم نكن لننجو أبدًا من تأثير

تلك الأشعة الرهيبة .

وفجأة ارتفع أزيز بعض الأجهزة الإلكترونية ، مما دفع العالم إلى أن يثب من مقعده ويتجه إلى أحدها ، وراحت أصابع يده تدق عليها دقات منتظمة متناغمة ، بينما راح المساعدون يلتفون حول أجهزتهم وأيديهم تتحرك في كل اتجاه ، بينما وقف (الإمبراطور) يُتابع الموقف وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامه يائسة .

زفر العالم (فاوس) وهو يعود ليحتل مقعده مرة أخرى ، ويُدّون بعض المُعادلات الغامضة على جهاز حسّاس أمامه،والتقت نظراته بنظرات (الإمبراطور) المُتساءلة فقال في اعتداد :

- لقد توصلنا إلى المعادلات الصحيحة ، ولن تمر ساعة يا سيدي حتى تكون القنبلة العكسية جاهزة .

قال (الإمبراطور) في هدوء :

- أظن إننا لن نصل إلى الحل قبل النهاية ، لذلك سوف أبثّ رسالة تحذير إلى الكواكب الأخرى ، سأبثها إلى عمق الكون حتى لا يتعرض أحد لذلك المصير البشع ..سأبدأ في بثّها فورًا ، وعليك أنت العمل بكل قوتك ، حتى نستطيع أن نتفادى مصيرنا المجهول .

وراح (الإمبراطور) يبث رسالة تحذير التي تلقاها أبطالنا بعد ذلك بكثير.

* * *

لنعُد لأبطالنا الذين تركناهم منذ قليل في حيرتهم البالغة ، خطوات (طارق) الدقيقة تذرع حجرة القيادة مجيئة وذهابًا في خطوات بطيئة بالنسبة لنا سريعة بالنسبة له ولحجمه الضئيل ..

قطع (سعد) ذلك الهدوء قائلاً :

- وما العمل الآن ؟ إننا لا نستطيع أن نهبط على هذا الكوكب وإلا تعرضنا

للدمار الكامل ، وكذلك لا نستطيع أن ننتظر وهناك من يتبعنا .
قالت (مروة) وهي تهز أياديها الثلاث في تتابع سريع :
- أظن إن في استطاعتنا أن ندور حول الكوكب عدة دورات قبل أن نعطي حلاً بديلاً ، فربما كانت الرسالة كاذبة لإبعاد أي كائن كان عن الكوكب.
تنحنح (رأفت) وهو يقول :
- لا أظن أن الإشارة كاذبة ، فلو كان يوجد أي أثر للحياة لرصدته أجهزتنا الحساسة ،ومعنى هذا أن حدثًا رهيبًا قضى على أهل ذلك الكوكب.
قال (طارق) في اعتداد :
- ربما أتت النهاية إليهم بصورة أخرى غير التي رأيناها منذ قليل .
قاطعه (راجح) قائلاً :
- ولماذا لا تكون الحقيقة هي ما شاهدناه بالفعل ؟
قالت (مروة) في سرعة :
- مستحيل! .. نعم مستحيل.. وقتها لن نستطيع أن نهبط أبدًا إلى ذلك الكوكب .. أبدًا .
قال (راجح) في عنف :
- لقد رصد الكمبيوتر السفينة الأم وهي تقترب منا في سرعة رهيبة ، إنها مجموعة المُطاردة ، لذا يجب أن نتخذ قرارًا وبسرعة .
قال (طارق) مُتابعًا:
- لا وقت للجَدَل الآن ، لنُعطِ الأوامر للسفينة بالاستعداد للهبوط على الكوكب مهما كانت النتائج فلا حل لدينا الآن ، فهو الكوكب الوحيد في المجرة الذي لا يحميه مجال كهرومغناطيسي بعكس الكواكب الأخرى ، لذا يجب أن نهبط عليه مهما كان الأمر ، وحتى لا تلحق بنا مجموعة المطاردة..لا حل بديل.

قال (رأفت) في ثقة :

- لك هذا.. فلابد أن نغامر مهما كانت العواقب .

انطلقت السفينة تقطع طريقها إلى الكوكب في سرعة رهيبة ، بينما الكمبيوتر الرئيسي يرصد جو الكوكب وطبقاته ويُعطي تحليلات أوّلية في كل ثانية أولاً بأوّل ..

وراح صوت الكمبيوتر الرئيسي يتابع قائلاً في صوت معدني رتيب :

- " درجة الإشعاع صفر .. الحياة صفر .. نسبة الأكسوجين تصلح للحياة الآدمية .. لا أثر للمياه ، فالانهار جافة لسبب غير معلوم.. هناك نوع من الإشعاع غير معروف المصدر نظيف..درجة ميل السفينة 90 درجة .. الهبوط بعد عشر دقائق ..درجة تحليل الضوء ثلاثة وسبعين .. درجة حرارة الكوكب مائة تحت الصفر ."

جاءت أوامر (طارق) بإطلاق قنبلة على أحد الأنهار المتجمدة ، بعد برهة جاء الصوت الآلي مرة أخرى :

- *"القنبلة ستنفجر بعد نصف دقيقة .. رد الفعل العكسي غير معروف"*.

ثم دوي الانفجار بشدة وعنف رهيبيْن ، وانبعث فجأة شعاع قوي عنيف أحاط بالانفجار فلم يمتد لأكثر من نصف كيلو متر ..

-" هناك أشعة غريبة تحيط بمكان الانفجار وتعمل على عكس مفعوله، قوة الانفجار تتلاشى كل ثانية ، لقد انتهى مفعول القنبلة كأنه لم يكن ولكن جزءً من النهر المتجمد في طريقه إلى السيلان ، المياه في طريقها للتدفق ودرجة الحرارة ترتفع تدريجيًّا ، المنطقة (ج) جاهزة للهبوط ، درجة الحرارة واحد تحت الصفر .. درجة الحياة صفر .. والهبوط سيكون سهلاً.. الهبوط بعد دقيقتيْن .. أرجو ربط أحزمة المقاعد "

ثم بدأ الهبوط في يسر وسلاسة .. فقط ارتجت السفينة (صقر) لوهلة ثم

استقرت على أرض الكوكب ، بينما تلاقت نظرات الجميع مُتساءلة في دهشة وعجب ...أن ماذا بعد؟

لم يطل تساؤلهم فقد بدأت ملامح (سعد) تتبدل وراح جسده يرتجف في شدة، وعيناه تزدادان جحوظًا وكأنه يعاني من ألم رهيب ، صرخاته تتوالى في عنف شديد .. بينما يداه تقبضان على رأسه كأنما يحاول أن يخلعه!

إلتف الجميع حوله في محاولة منهم لإسعافه من شيء يكاد يدمره ،

على حين أسرعت(مروة) وحقنته بمادة مهدئة وعلى وجهها يرتسم الانزعاج بأوضح صورة ، بيد أن الجميع كان يعرف أن تلك المحنة ستنقضي .. وإنه يتلقى إشارة ما ربما كانت كسابقتها .

ولكن هذه المرة كانت الاشارة من أبعد نقطة عنهم الآن ، إنها اشارة من كوكب تركوه منذ آلاف السنوات الضوئية ..

من الأرض ..

رسالة من نوع آخر تمامًا.

رسالة من مركز المُشوّهين ، من شقيق (سعد) فهو الوحيد الذي يستطيع أن ينقل له تلك الاشارة وبهذه القوة ..

فقد توصّل إلى إبتكار جهاز يُعينه على الإتصال بشقيقة عبر اشارات خارقة للعادة ، مُكوّنة من الموجات و الاشارات معًا ..

ولقد ارتسم الذهول بأقصى درجة على وجه (سعد) وهو يخرج من حالته، نطق قائلاً :

- لن تصدقوا ما سوف أقوله لكم.. لن تصدقوه أبدًا.

وبدأ يسرد لهم ما نقله له عقل أخيه التوأم (خالد) بينما انعقدت ألسنتهم ولم يستطع أحد أن ينطق بحرف، و (سعد) يواصل حديثه في..

بينما راح (طارق) يُحدق فيهم ذهلاً وعقله يعمل في اتجاه آخر ..

فما يقوله (سعد) معناه إنه يجب أن يعود إلى الأرض ، وبأقصى سرعة مُمكنة ، قبل أن يكتشف أحد هذا السر الرهيب .

***

بدأ الاستعداد داخل المركبة (صقر) ..

الكمبيوتر يدرس جو الكواكب ويحلله كل ثانية ، التقارير مدهشة فالكوكب يصلح للحياة الآدمية ولكن هناك جفاف كامل على سطح الكوكب ،لا حياة مطلقة .. لا وجود لأي كائن ، سطح الكوكب خالي تمامًا من أي أثر لحياة سابقة ،حتى أن الكمبيوتر أعطى بيانات كاملة باستحالة وجود حياة سابقة على هذا الكوكب .

ـ *"حجرة معادلة الضغط جاهزة"* .

أتاهم الصوت الآلي،فانشغل الجميع بالاستعداد للمغادرة بينما تابع:

ـ *درجة الحرارة ترتفع بدرجة مدهشة ولا سبب منطقي أو علمي لحدوث ذلك* .

ومنذ متى يبحثون عن الأسباب المنطقية للأشياء؟..جاء صوت (راجح) متوجسًا وهو يقول :

ـ لقد جهّزت السيارة الفضائية وجاهز للتنفيذ .

قال (طارق) في هدوء معتاد :

ـ سنُغادر بعد قليل ، ولكن يجب أن نكون جاهزين لأي مفاجآت .

تحدث (سعد) قائلاً :

ـ يجب أن نُسرع ، مجموعة المُطاردة على وشك الوصول إلى الكوكب، ولم يتبقّ لنا سوى ساعات قليلة قبل أن يكونوا فوق رؤوسنا .

قال (طارق) :

ـ لنُعطي الأمر الآن بالتحرك .

وكان حديث (طارق) بمثابة أمر لهم ..

إتخذ الجميع أماكنهم داخل السيارة الفضائية .. وانفتحت كوة في السفينة فتحركت السيارة بإتجاهها ..

أطلق (رأفت) للسيارة العنان ، ولم تمر برهة إلاّ وكانوا خارج السفينة يتحركون بسرعة مدهشة على أرضية الكوكب ..

كمبيوتر السيارة يعطي بيانات تدريجية عن أرض الكوكب وطبيعته ..

قال (طارق) بعد عدة دقائق من الصمت :

ـ من الواضح أن الكوكب خالٍ تمامًا من الحياة .

ظهر التفكير مليًّا على وجه (سعد) وهو يقول :

ـ ولكنني أتلقى ذبذبة عقلية ، كأن هناك أحدًا يوجّهنا إلى وجهة معينة.

قال (رأفت) في سرعة :

ـ ما معنى هذا ؟

أجاب (سعد) في ثقة :

ـ ربما يرجع ذلك إلى أن أصحاب الكوكب كانوا على درجة رهيبة من التكنولوجيا.

هزّ طارق) رأسه وهو يقول :

ـ ربما ما يقوله (سعد) حقيقي ، ربما نحن نواجه تكنولوجيا لا قِبَل لنا بها .

أتى صوت الكمبيوتر ليقطع حديثهم:

ـ جسم غريب يتجه إلينا ،يشع درجة رهيبة من الطاقة، لا أستطيع تحليلها..

ثم بدأ الصوت الآلي يصلهم مُتقطعًا وهو يقول :

ـ لا أسـ ..تطيع التحكم في بيانات سيارة و أجهزتـ .. هناك.. من بيث فيروس يسـ يطر على الأجهز ..

بدأت السيارة تأخذ طرقا ملتوية وأصبح من الصعوبة التحكم فيها ، ظهر

الخوف في ملامح الجميع ، و(رأفت) يبذل قصارى طاقة له للسيطرة على السيارة التي أخذت طريقها في سرعة رهيبة رغم كل محاولاته اليائسة للتحكم فيها ..

وأتى صوت الكمبيوتر:

ـ أمامنا هـ ـوة رهـ ـيبة العمق ..غير معروفة..سنسقط فيها بعد ثوان.. أربطوا أحزمـ ـة الأمان ..

وراحت سرعة السيارة تزداد والهُوَة تزداد قربًا..

تشبث الجميع بمقاعدهم ولكن كان من الواضح أن هذه هي النهاية .. النهاية الغير متوقعة ، ثم سقطت السيارة ولفهم ظلام رهيب لا آخر له والسيارة تواصل طريقها إلى القاع .

***

اقتربت المجموعة المطاردة من كوكب(لورنز)وأخذت الاستعداد الكامل للهبوط على سطحه ، فاقترب قائد السفينة الأم من الدكتورة (سوزان) وتنحنح قائلاً:

ـ السفينة على أهبه الاستعداد للهبوط .. التحليلات الأولية تعطي نتائج مدهشة ..والسفينة (صقر) اخترقت المجال ، ولكننا لم نحدد موقعها بعد، ولا أثر لها !.

قالت (سوزان) ساخطة :

ـ ما معنى هذا ؟

قال القائد في اعتدال :

ـ ربما غادرت الكوكب قبل وصولنا .

قالت (سوزان) :

ـ مستحيل .. نحن نرصد دخولها للكوكب لحظة بلحظة ومن المستحيل أن

تكون غادرت الكوكب دون أن نرصدها .

ـ قال القائد في دهشة :

ـ إذًا ما معنى ما حدث الآن ؟ ، من المستحيل ألا ترصدها أجهزتنا إن كانت على سطح الكوكب .

قالت (سوزان) :

ـ هناك سبب منطقي لما يحدث ، أكيد هناك شيء لا نعلمه .. هذا أكيد.

قال القائد :

ـ وما العمل الآن ؟

أجابته (سوزان) قائلة :

ـ لنُطلق القمر(زوت)وليعطنا صورًا لجميع أجزاء الكوكب بلا استثناء.

قال القائد في هدوء :

ـ لكِ هذا يا سيّدتي .

انصرف القائد مُبتعدًا ،وهو يعطي أوامره للرجال بإطلاق القمر (زوت).

لم تمر برهة من الوقت حتى كان (زوت) يحتل مكانه ويبدأ في الدوران حول الكوكب ، وتبدأ أجهزته في رصد وتحليل أرضيّة الكوكب ..

سكنت (سوزان) على مقعدها ، وراحت تفرك أصابعها في عصبية زائدة ، فتلك آخر فرصة لديها للفوز .. إحساسها بالتضاؤل يزداد .. لقد فقدت خطيبها في السابق بإنضمامه إلى مجموعة (طارق) ، والآن ستفقد وظيفتها .. وربما تفقد حياتها أيضًا ، لا مجال للفشل الآن ، ستبذل أقصى ما لديها من جهد لتقبض عليهم أحياء ، ولكن أين هم الآن ؟ .. سؤال يُلح على عقلها طوال الوقت ولا تجد له أدنى اجابة ..

وقفت بجوارها الآلية (ليندا) ساكنة وكأن أجهزتها توقفت عن العمل ، وعقلها الآلي يدرس كل شئ ويحاول تحليله بمنتهى الدقة ، وبيانات (زوت)

تتوالى ، لا جديد فيها ..اختفاء المركبة(صقر) ، خلو الكوكب (لورنز) من أي حياة .. وأخيرًا قالت (ليندا) بعد صمت ساد لدقائق :

ـ من الجليّ أن شيئًا حدث على هذا الكوكب لا نعرفه .

قالت (سوزان) في غيظ :

ـ ماذا تقصدين ؟

أجابت (ليندا) بصوتها الآلي الخالي من أي تعبير :

ـ أقصد أنه من المستحيل العثور على المركبة (صقر) ومن المُستحيل تحديد مكانها ، فتقارير (زوت) تقول أن لا أثر لها ، و(زوت)قمر صناعي مُتفوّق جدًا يستطيع أن يرصد وجود ذبابة طائرة على مسافة ألف كيلو متر كامل .

أقبل قائد المركبة الأم تجاههما ووقف قبالتهما قبل أن يقول :

ـ نحن جاهزون للهبوط على الكوكب الجديد .. أوامركِ يا سيدتي .

فركت (سوزان) يديها ثم قالت :

ـ نفذ الهبوط فورًا .

قالت (ليندا) في لامبالاة :

ـ هل مازال لديكِ أمل في العثور عليهم ؟

تحرك القائد مُبتعدًا لتنفيذ الأمر ، بينما قالت (سوزان) في تحدٍّ:

ـ لن أفقد الأمل أبدًا.. سنجدهم مهما كانت النتائج .

عادت (ليندا) لسكونها مرة أخرى ووقفت ثابتة بجوار (سوزان) وكأنها فقدت أي أمل في إكمال الحديث وفائدته ، بينما ظل ذهن (سوزان) شاردًا والدهشة تسيطر عليها والسؤال المطروح آنفًا لم يُزايل عقلها بعد..

أين اختفت السفينة (صقر) ؟! .. وأي مفاجآت جديدة ستقابلها على صدر ذلك الكوكب المجهول ؟

أي مفاجآت ؟!

***

ننتقل مرة أخرى إلى الأرض..بالأصح إلى باطنها،حيثُ وقف الدكتور (راشد)داخل الحجرة القابع بها،يذرع الغرفة جيئة وذهابًا بلا توقف..

لقد حققوا معه كثيرًا ، يومان وهم يحققون معه ، لم يصدقوا قصته في البداية ، الوحيد الذي ظهر عليه التفكير والتصديق هو (خالد)- شقيق (سعد)- فعقله المُتفوق استطاع أن يهضم الفكرة ويستوعبها في دقائق ..

وأمر الرجال بالمحافظة على (راشد) وحُسن رعايته حتى رجوع (طارق) والمجموعة من مهمتهم الغريبة ..

لقد أجرى (خالد) إتصالاً فائقًا لينقل الامر كاملاً لـ(سعد) ولكنه لم يتلقَّ إجابة لرسالته حتى الآن ، رغم أنه يُدرك جيدًا أن الرسالة ناجحة !

لم يفهم (راشد) الكثير مما حوله .. ولم يفقه سببًا لذلك التوتر الشديد على الرجال أو أشباه الرجال الذين حققوا معه ،إن فكرة السفر عبر الزمن داعبت العلماء والأدباء منذ القرن الثامن عشر ، فلماذا هذا التجاهل لها وعدم تصديقها الآن ؟ ..

ولقد استولوا على آلته ، نقلوها إلى جهة غير معلومة له ، وأي شئ معلوم له الآن ؟ ، إنه لا يفهم .. حقيقة لا يفهم ..

لِمَ يسكن الرجال باطن الأرض ؟ ..

قطع تفكيره دخول أحد الأشخاص ، إلتفت إلى الباب الذي فُتح أمامه ودلف منه (خالد) ..

توقف (خالد) قبالته وراح يتفحصه من شعر رأسه إلى أخمص قدميه ، وحدج (راشد) بنظرة شاردة متوترة ، مُقتربًا منه مُربتًا على كتفه في هدوء قائلاً :

- إطمئن .. أنتَ الآن بين أخوانك ، فلا تقلق .
بلع (راشد) ريقه بصعوبة وهو يقول :
- هلاّ أسديْت لي خدمة يا سيدي ؟
حاول (خالد) أن يُزيل التوتر بينهما ، فجلس على أحد المقاعد عاقدًا ساعديْه وهو يقول :
- لك ما تأمر يا دكتور ؟ .. أو إسمح لي أن أقول لك يا (راشد) .
ارتمى (راشد) على سريره وهو يقول :
- قلْ يا سيّدي ما يحلو لك.. ولكن أرجو أن تُعاملني كآدمي .
ضحك (خالد) بصوت مرتفع وهو يقول :
- وهل هناك من قال لك أنك غير آدمي ؟
قال الدكتور (راشد) وعقله مُشتّت :
-إنكم تعاملونني كأنني فأر تجارب ..
هبّ (خالد) واقفًا فجأة وهو يقول :
- لا .. نحن لا نسمح بهذا أبدًا ..لأننا نحن أنفسنا نُعامل كفئران تجارب.
هتف (راشد) غاضبًا :
- ومن أنتم ؟
ضحك (خالد) في غيظ وحنق :
- نحن المُشوّهون .
صاح (راشد) :
- أدرك هذا .. فأنا أرى جيدًا.. ولكن ما السبب في هذا ؟
تقطّب جبين (خالد) وسال خط رفيع من العرق على وجنتيه وهو يجيب :
- تلك قصة طويلة .. ألف سنة من التاريخ لتدركها أنت.. لا وقت لدي الآن لأحكيها لك كاملة .. ولكن صدقني أنت على الجانب الخيرّ من هذا الكوكب ،

والآن ما نوع الخدمة التي تُريدني أن أسديها لك ؟

وقف (راشد) قبالته وقال في تباطؤ :

- أريد أن أرى آلتي.. أقصد آلة الزمن .

- لك هذا ولكن ليس الآن فنحن نعكف على دراستها .

ظهر الفزع على وجه (راشد) وهو يصيح :

- ولكن العبث بها يمكن أن يدمرها تمامًا.

- نحن نعلم جيدًا ما نفعل ، فلقد أثارت آلتك العلماء لدينا إلى أقصى درجة وهم عاكفون عليها ليل نهار لمعرفة أدق تفاصيلها .

قال (راشد) في تحفّز :

- أنا مُستعد للتعاون معكم بكل قوتي .

ضحك (خالد) قائلاً :

- هذا كل ما نتمناه بالتأكيد، فأنت خير من يشرح لنا طريقة عملها وتكوينها..لكننا ننتظر مجموعة في مهمة بعيدة سيعودون قريبًا بإذن الله .

ثم إنصرف (خالد) وأغلق الباب خلفه بينما تسمّر (راشد) في مكانه لدقائق قبل أن يرتمي على سريره ، وعقله يذهب إلى بعيد .. أبعد ما يمكن إلى المجموعة التي تحدث عنها (خالد)، والسؤال يُلِحّ في عقله...

هل سيعودون ؟.. وهل سيرتبط مصيره بعودتهم ؟

***

(6)

راحت السيارة الفضائية تسقط في تلك الهوّة الرهيبة بسرعة غير معقولة بينما تشبث الجميع بمقاعدهم ، وظهر الارتياع والخوف على ملامحهم في أدق صورها .

صرخت (مروة) قائلة :

ـ أهكذا الأمر إذًا ، تركنا الأرض لنموت على ذلك الكوكب وبتلك الطريقة الساخرة ؟!!.

صرخ فيها (طارق) قائلاً :

ـ اهدئي .. يجب أن نُفكّر جيدًا ، وإن كان الموت سيأتينا بهذه الصورة فهو قدرنا ولا مفر منه .

قال (رأفت) في صوت أجش :

ـ السيارة تهبط في سرعة رهيبة ورغم ذلك لم تبلغ القاع بعد .

أكمل (سعد) :

ـ هذا صحيح ..ولكننا سنبلغه بعد قليل ، لو أستمر الأمر بتلك الصورة.

صرخت (مروة) مرة أخرى وهي تقول :

ـ الظلام يحيط بنا من كل جانب ، ومصابيح السيارة لا تُضئ لنا أي شئ ، الظلام يبتلع ضوءها .

قال (طارق) في حنق :

ـ هل مازال كمبيوتر السيارة معطل ؟

ضغط (رأفت) زر جانبي وهو يقول :

ـ نعم .. الكمبيوتر أصابه عطل تام ..ولا فائدة .

هتف (طارق) قائلاً :

ـ لنُطلق المظلات الجانبية لتخفيف سرعة الهبوط .

قال (سعد) في غيظ وعيناه تتقدان :
- لقد حاولت منذ قليل ولا فائدة..هناك خلل في جميع أجهزة السيارة .
أبعدت (مروة) يدها عن جانب السيارة وهي تقول :
- إنّ حرارة السيارة ترتفع .
قال (رأفت) ضجرًا:
- مستحيل ..مادة السيارة مُقاومة للحرارة.
تحسّس (طارق) جانب السيارة وهو يقول :
- ولكن درجة حرارتها ترتفع بالفعل !!.
قال (سعد) بغتة :
-ألا تُلاحظون أن سرعة الهبوط قد تقلصت ؟.. وأننا نسقط الآن بسرعة بطيئة نسبيًا .
هتفت (مروة) صائحة :
- ذلك صحيح .. إنني أشعر بذلك .
وأردفت في عصبية :
- ألن ينفك حصار ذلك الظلام المقبض ؟
أجابها (رأفت) :
- هذا ما نتمناه الآن ، حتى نرى إلى أي مدى وصلنا .
هتف (راجح):
- حرارة السيارة تهبط مرة أخرى .. ولن تمر دقيقة حتى تعود إلى الحرارة العادية .
قال (طارق) ضجرًا :
- ولكننا مازلنا نسقط إلى القاع.. إنني أشعر بذلك جيدًا .
قال (سعد) فرحًا :

- جهاز الكمبيوتر عاد مرة أخرى إلى العمل .

قال (طارق) بسرعة :

- أطلق صواريخ الدفع الإضافية حتى نرتفع .

قال (سعد) والنشوة تتزايد :

- لك هذا يا سيّدي ..

ضغط (سعد) زر صواريخ الطاقة الجانبية ، ولكن ظل الوضع كما هو دون تغيير .. تسائل(طارق) :

- ما معنى هذا ؟

صاحت (مروة) :

- الكمبيوتر يعمل ولكنه لا يُنفذ أي أمر لنا ، لقد فقدنا السيطرة عليه تقريبًا!

هتف (رأفت) في غيظ :

- أنا لا أعلم ما يحدث بالضبط !..هناك شئ ما يُلاعبنا.. ويضع قوانين اللعبة كما يريدها هو وليس نحن .

قالت (مروة) في غضب :

- أظن أن هذا صحيح.. ولكن إلى متى سيستمر هذا الوضع ؟

قال (راجح):

- لو أراد قتلنا ..لقتلنا منذ البداية ولترك السيارة تهبط في عنف كفيل بتحطيم أعناقنا جميعًا.

آتاهم صوت كمبيوتر السيارة بغتة رتيبًا وهو يُردد :

- *هذا صحيح .. هذا صحيح بكل تأكيد .*

ظهر الذهول على ملامح الجميع ، بينما تبدت أمامهم صورة هولوجرافية سالبة ثلاثية الأبعاد ، الوجه غير مُحدّد المعالم ، فهو وجه فقط دون أي إضافات أخرى ، لا أثر لعينيْن ولا شفتيْن ، وجه دون معالم حقيقية !

تراجع (طارق) في مقعده ، بينما تشبثت (مروة) بيد (سعد)، واتسعت عينا (رأفت) إلى درجة رهيبة ، بينما ظل (راجح) ساكنًا بلا حِراك كأنه فقد كل صور الحياة ..

دارت الصورة الهولوجرافية أمامهم عدة دورات قبل أن يصدر صوت رهيب عجيب تخلل عقولهم ، صوت شل تفكيرهم وجعلهم في حالة ترقب قلق لما سيحدث ..

وأخيرًا قطع (طارق) ذلك الهدوء المطبق وهو يقول :

ـ مَنْ أنت ؟

ساد الهدوء مرة أخرى قبل أن يأتيهم الصوت مرة أخرى ، صوت دون حديث ، إنهم يستمعون فعلاً ولكن دون حديث ، إنهم يستمعون فعلاً ولكن دون أن تلتقط آذانهم أي حديث ، ذبذبة خاصة تصل إلى مركز السمع ولكن لا يستطيع المخ تفسيرها ، يخيل إليهم إنهم يستمعون إلى حوار طويل ولكن دون أن يفهموا منه حرفًا واحدًا !

ثم بدأ الظلام يتلاشى .. أخذ ضوء مُبهر يضوي حول السيارة..بينما اختفت الصورة الهولوجرافية بغتة كما ظهرت بغتة ، و بدا لهم أنهم بداخل أنبوب طويل زجاجي غريب الشكل تحيط بهم أشعة حمراء قانية تتخللها أضواء فسفورية عجيبة .

كان الجوّ المُحيط بهم كفيلاً بعقد ألسنتهم جميعًا ، وتطلعوا مبهورين لما يرونه أمامهم ، فهم داخل أنبوبة زجاجية قطرها يتجاوز الكيلو متر ، والسيارة تسبح بهدوء داخل الأشعة الحمراء ، وتقطع المسافة في سرعة رهيبة رغم عدم إحساسهم بتلك السرعة المدهشة ..

مرّت خمس دقائق قبل أن تلمس السيارة قاع الأنبوب في هدوء ، وبدأت الأشعة المحيطة بهم تتحول إلى اللون الأبيض تدريجيًا ..

وأتاهم صوت كمبيوتر السيارة مرة أخرى قاطعًا الصمت :

- تستطيعون الآن الخروج ، لقد تمت معادلة الضغط ، والهواء يصلح للتنفس.

ضغط (طارق) زر أبواب السيارة ففتحت جميعًا ،وكأنه يعطي أوامره الصريحة بالتحرك ، فكّ الجميع أحزمة مقاعدهم ، ووثب (طارق) خارج السيارة وتبعته المجموعة كلها ، توقفوا لبُرهة يتطلعون فيما حولهم ، لا وجود لأي أبواب ..

رفع (طارق) بصره إلى الأعلى ، لكنه لا يستطيع أن يُحدّد طول ذلك الأنبوب فكأنه يمتد إلى ما لانهاية ، ودون سابق إنذار فُتح باب جانبي في قاع الأنبوب فأشار (طارق) للجميع أن يتحركوا ، دلفوا إلى الداخل تِباعًا، استقرت أقدامهم بعد قليل وسط قاعة هائلة الحجم .. فارغة تمامًا..

دارت رؤوسهم في المكان وأعينهم تتفحص المكان شبرًا بشبر ..

من الواضح أن حضارة غريبة هي من صنعت تلك القاعة .. حضارة مُتفوّقة جدًا .. فهل يكون ذلك هو اللقاء الأول بين عالميْن ؟ ..

و ما الذي سيحمله إلى أبطالنا ؟

***

وقفت (سوزان) بجوار السفينة الأم ، بينما انشغل الرجال حولها بجمع عيّنات من أرض الكوكب ، وظلت (ليندا) ثابتة بلا حراك ترصد بأجهزتها كل شيء يدور حولها بدقة متناهية .

كانت منطقة الرؤية أمامهم مفتوحة لا مجال لحجب أي شئ ، منطقة خالية مُمتدة أمامهم لأكثر من ألف كيلو متر .

الرجال يتحركون في كل اتجاه وفي كل مكان ، حركة دؤوب مستمرة ، تطلعت (سوزان) فيما حولها وذهنها في شرود تام ، فما زال القمر

(زوت) يرصد الكوكب ونتائج الرصد تؤدي بها إلى طريق مسدود ، ولكن ليس أمامها طريق للتراجع مهما حدث ، ستجدهم ولو كان ذلك آخر شئ تفعله في حياتها ، قطع تأملها الصامت صوت (ليندا) الرتيب وهي تقول:

- سيّدتي ..من الواضح أنه لا أمل لنا هنا !

قالت (سوزان) في ضيق :

- أصمتِ .. لن نستسلم لليأس أبدًا.

رفعت (ليندا) صوتها الآلي قائلة :

- ولكننا نهدر الوقت يا سيّدتي دون طائل ، يكفينا أن نعرف أن هذا الكوكب صالح للحياة - ربما كانت هناك حياة عاقلة عليه سابقًا - وإننا لم نخسر شيئًا بعد .

قالت (سوزان) وملامح الضيق تحتل كل وجهها :

- قلبي يقول أنهم لم يغادروا هذا الكوكب بعد ، ولكنهم يختفون بطريقة مُدهشة لا نعلمها .

رفعت (ليندا) صوتها مرة أخرى قائلة :

- والحل ؟ الحل الذي توصل إليه عقلك يا سيّدتي ؟

قالت (سوزان) بهدوء :

- ومن قال لك إنني توصلت إلى حل ما ؟

أتاها صوت (ليندا) الآلي قائلاً :

- لا تنسي يا سيدتي إن أجهزتي ترصد جميع انفعالاتك الشخصية ، لذا تقول أجهزتي أن هناك شيئًا تخفينه عني أو عن الجميع.. أليس كذلك ؟

صفقت (سوزان) بيدها وهي تقول :

- هائل ..لم أكن أدرك أن أجهزتك وصلت لهذه الدرجة من التحليل !.

ودارت (سوزان) حول (ليندا) وهي تستدرك :

- لذا سنوقف جميع أجهزتك عن العمل .

وصاحبت القول بالفعل ، فقامت بسحب موصل جانبي في ظهر (ليندا)، بينما راح التحذير الآلي يُردد في خفوت :

- طاقة الفراغ (صفر) .. العودة إلى حالة السكون التامة .. الطاقة تتلاشى .. الطاقة تتلاشى .

ثم سكن الصوت تمامًا ، لم ينتبه الرجال لما يحدث ، فقد كان الجميع في حالة لا تسمح لهم بمتابعة الموقف ، كان يكفيهم أنهم وصلوا برحلتهم إلى أبعد مدى ، بل أبعد من الرحلة السابقة التي لم تستطع الوصول إلى ذلك الكوكب ولم تهبط على أي كوكب من المجرة ، الانشغال التام يسيطر عليهم ..

الوحيد الذي رأى هذا الموقف ولم يفهمه كان الدكتور (جوهر) ، الذي إنسحب مُتسللاً إلى داخل السفينة الأم ، وعيناه تتسعان بالتساؤل والسؤال يطرح نفسه بشدة وعنف : ما الذي تنوي (سوزان) أن تفعله ؟

أتى الأمر بعد قليل من (سوزان) إلى أحد الرجال بنقل (ليندا) إلى غرفة التثبيت ، لعطل طارئ بأجهزتها نتيجة لتأثير الأشعة الكونية عليها مع عدم إمدادها بأي مصدر للطاقة ..

أي الحكم بالإعدام على الآليّة (ليندا) ..وبهذا تخلصت من أول عقبة في طريق تنفيذ خطتها المجنونة ، و كل هذا لم يهضمه عقل الدكتور (جوهر) ، فـ (ليندا) هي الآلية المخصصة من جانب مجلس الحكم لمتابعة سير الرحلة وإعداد الوثائق المهمة، كما أنها مكلفة بوقف أي عمل قد يؤدي إلى هلاك الطاقم والعودة بالسفينة في حالة الفشل إلى الأرض ..

لذا فقد آلت جميع الأمور بالتبعية إلى (سوزان) وأصبحت الوحيدة التي تستطيع أن تقرر طول الرحلة وحجم الخطر الذي يتعرض له الطاقم.

ولكن ما لم يعرفه الجميع ، و ما لم يستوعبه عقل الدكتور (جوهر) أن

(سوزان) كانت قد اتخذت قرارًا رهيبًا .. قرارًا دفعها إليه حقدها وكرهها الشديد لـ (رأفت) وزملائه .. أن تُفجّر هذا الكوكب بما فيه ومن فيه.. ستعمل على ابادة الجميع بلا استثناء ، وهذا معناه أنها ستستخدم أقوى أسلحة الكون.

ستستخدم الطاقة (Z)،و ستحول المجرّة كلها إلى غبار كوني أو ربما إلى ثقب أسود يمتص كل ما حوله ومن حوله .. مجرد غبار نجمي .. وراحت الفكرة تُسيطر على كيانها كله ،حتى أنها سارعت في تنفيذها دون علم الجميع، لم تعطِ فرصة لعقلها للتراجع ، شحنت بطاريات الانشطار النووي لتُطلق المادة المضادة ..و لتدمر كل شئ ..

كل شئ..

أعطت أوامرها للقمر (زوت) بمتابعة الرصد مع نفي وجود أي أطوال موجيّة جديدة أو أي نشاط إشعاعي جديد فجاء تقريره دائمًا بالسلب ،

أوهمت الجميع أن عليهم الاستعداد لمغادرة سطح الكوكب بينما العدّاد الزمني للبطاريات يعمل بدقة متناهية ،مجرد ساعة واحدة وتنتهي هذه المجرة من الوجود ..

ساعة واحدة ويختفي الكوكب بأكمله ويموت (رأفت) ومجموعته دون أدنى علم لهم بما يجرى من حولهم ..

ساعة قد تفرق معهم ومعنا الكثير ..

في ذلك الوقت تسلل الدكتور (جوهر) إلى غرفة التثبيت حيث تقبع الآلية (لينا) في حالة السكون التام ..

تحرك بمنتهى البطء ، يتمهل وهو يحرك قدميه في كل ثانية ..

العرق يغرق وجهه ، ولكن ملامح الوجه نفسه ثابتة ساكنة كأن لا وجود لدماء في ذلك الوجه ..

وقف أمام الرتاج الآلي ، و أخرج بطاقته ودفعها في جانب الباب حتى أتاه

أزيز بسيط هادئ ، وارتفعت أمامه اللوحة الآلية بعدم السماح له بالدخول!
اللعنة ..

لقد اتخذت إجراءاتها جيدًا .. هكذا قال لنفسه ولكنه استطرد بعد وهلة:

ـ ولكن من الواضح أنها نسيَت من أنا .

وراحت أصابعه تداعب أزرار اللوحة في سرعة ، ولم يمض الكثير من الوقت حتى أتاه أزيز آخر من اللوحة يُعلمُه أن في استطاعته الدخول ، ابتسم وهو يضع بطاقته جانبًا ويدلف إلى القاعة وهو يقول لنفسه :

ـ هكذا ..لا شئ يقف أمام الدكتور (جوهر) .. درسٌ يجب أن تستوعبه هذه الحمقاء جيدًا .

اقترب من الآلية (ليندا) وتسارعت أنفاسه وهو يوصّل أجهزتها بالطاقة البديلة ، وراحت أصابعه تواصل عملها في سرعة ودقة ، وعقله يعمل بكل طاقته والسؤال يُلح في ذهنه باستمرار ماذا تُخفي لنا هذه الغبية؟ ، إنه يدرك مطامحها الشخصية ويدرك أيضًا عنادها الفائق وإحساسها بالتفوق على الجميع ، ولكنها لن تقف أمامه أبدًا فهو مُعلمها وأستاذها ..

والخبرة لها ثمنها بكل تأكيد ..

لم تمر دقائق حتى جاءه صوت الآليّة (ليندا) :

ـ عودة إلى العمل .. الطاقة مكتملة .. أجهزة العمل في أحسن حال .

إلتفت إليها الدكتور (جوهر) وهو يقول :

ـ أهلاً بكِ مرة أخرى في مجموعتي .

قالت (لينا) بصوتها الرتيب :

ـ أشكرك يا سيّدي، لقد تم فصل أجهزتي عن العمل دون أمر مباشر من مجلس الحُكم ، وهذا معناه وجود تمرّد على السفينة الأم ، وتقوده القائدة (سوزان).. أليس كذلك ؟

قال (جوهر) في صوت حاول أن يُكسبه الهدوء :

- لم يتم أي نوع من التمرّد ، ولكن هي محاولة استثنائية من جانب واحد بأمر شخصي بحت .

قالت (ليندا) بنفس الصوت :

- لِمَ ؟ ..هل هناك شيء لا أعرفه ؟

تراجع (جوهر) للوراء خطوتين وهو يقول :

- هذا ما سنحاول أن نعرفه سويًا ، ولكن يجب أولاً أن نعيد الأمور إلى نصابها الصحيح .

سحبت (ليندا) سلكًا جانبيًا مُوصّل بظهرها وهي تقول :

- لقد إكتمل شحن بطارية الطاقة الإضافية .. جاهزة للتحرك .

خفض (جوهر) صوته وهو يقول :

- إذًا هيا بنا .

وتحرك الاثنان خلال الممر المؤدي إلى غرفة التحكم بمنتهى البطء ، خطوات متمهلة ، وعيون (ليندا) الآلية ترصد كل شئ حولهما وتعطيها النتائج أولاً بأوّل ..

سكن جسد الآلية (ليندا) فجأة وراحت عيناها تفتش المكان من حولها، مما جعل الدكتور(جوهر) يتوقف هو أيضًا وهو يشير لها بالتحرك ، أشارت بأصابعها إليه أن يصمت ، وطفقت أجهزتها تُحلل الجو من حولها ، هناك مصدر نشاط إشعاعي عجيب ، مصدرٌ ذو قوة فائقة بل و مدمرة إلى أقصى حد ممكن ، قوة كفيلة بإنهاء حياة على مجموعة شمسية كاملة .. ويجب أن يوقف عن العمل بأي ثمن .

تسارعت أنفاس الدكتور (جوهر) إلى درجة مُفزعة وامتقع وجهه بشدة و(لينا) تواصل شرحها لما يحدث ، فهذا معناه الهلاك .. الهلاك التام لهم ،

ويجب أن يوقف هذا مهما حدث ..

واتسعت عيناه في فزع وارتياع لهذا الجنون ..

الجنون الذي لا يتخيّله عقل !!

***

فُتح باب جانبي في جدار القاعة وإمتد أمام أبطالنا طريق لا تستطيع أن تحدد نهايته ، تطلع أفراد الفريق إلى الباب وتبادلوا النظرات وكأنهم ينتظرون أمرًا ما ..

خرج الأمر من بين شفتي(طارق) حينما قال :

- الجليّ أن هناك من يرشدنا إلى الطريق ، وليس أمامنا إلاّ طاعته.

هزّ (رأفت) رأسه وقال :

- هذا صحيح للأسف .. لم يعد في استطاعتنا إلاّ هذا .

تابع باقي الفريق الحركة ، وراحوا يقطعون الممر في خطى حثيثة ولا أثر لنهاية ذلك الممر ، وبغتة قطع الممر حاجز زجاجي ضخم هبط من أعلى.. وأصبح الفريق مُحاصرًا اخل ذلك السجن الزجاجي ..

ولم تطل دهشتهم فقد أخذ ضوء باهت ينير لهم جوانب السجن الزجاجي ، بينما بدأ الحاجز الزجاجي يرتفع بالتدريج ، وظهرت أمامهم غرفة مُتّسعة شبه خالية إلا من عدد من أجهزة غريبة الشكل ، ومنضدة صغيرة مُحاطة بستة مقاعد ، وقف أفراد الفريق يتطلعون إلى الغرفة الخالية تمامًا من أي أبواب أو نوافذ .

من الواضح أن كل شئ مُغلق أمامهم إغلاقًا تامًا ،ولم يعد أمامهم حل إلاّ الانتظار .. انتظار ما سيحدث ..

أشار (طارق) إليهم أن يجلسوا..كانوا في حاجة إلى التقاط الأنفاس.. احتلوا المقاعد حول المنضدة .. بعد بُرهة قالت (مروة) :

- إنهم يعرفون جيدًا ما يريدون.
أجابها (راجح) في تأنٍ :
- بالطبع ..أنهم يدرسون تحركاتنا ويقيسون ردود أفعالنا .
قال (رأفت) في غضب :
- لسنا فئران تجارب ، ويجب أن يعلموا هذا وإلا ..
قاطعه (طارق) قائلاً :
- هدئ من نفسك .. لا داعي للغضب .. إن عاجلاً أو آجلاً سيعلنون هم عن أنفسهم ، فلن يتجاهلونا إلى الأبد .
زفر (رأفت) في ضيق وهو يقول :
- هذا صحيح .. لننتظر، ولكن إلى متى؟ .. إلى متى الانتظار ؟
تسللت الإجابة إلى عقولهم بغتة في صوت هادئ عجيب .. صوت يخترق خلايا عقولهم جميعًا بلا استثناء ..كان الصوت يقول :
- لن يطول انتظاركم كثيرًا .
تطلع أفراد الفريق فيما حولهم ، وكانوا يحاولون أن يجدوا مصدرًا لذلك الصوت الذي استطرد داخل عقولهم قائلاً :
- لقد أدهشتم عُلماءنا في بادئ الأمر ، فقد حاولنا أن نحلل تركيبكم الجيني، ولكن ما أثار دهشتنا هو التفاوت العجيب في التركيب الجيني ، وفي نفس الوقت تشابه الخلايا بينكم إلى حد مدهش ، والحل الوحيد الذي وصل إليه العلماء ، أن هناك عبثًا تم في نظام التركيب الجيني لديكم وذلك عبر عدة سنوات ، ولكن من المدهش أنكم تتمتعون بعقل فائق ومنظم .. لذا حان الوقت للتواصل .
همس (طارق) قائلاً :
- وماذا يعني هذا ؟.. هل ستسمحون لنا بالاقتراب منكم ؟

جاءهم الصوت خلال عقولهم واضح النبرات هادئ:

- بالتأكيد .. بالتأكيد سنسمح لكم بالاقتراب منا ولكن بالتدريج .

هتف (رأفت) قائلاً :

- ولماذا بالتدريج وليس الآن ؟

جاء الصوت هذه المرة مُتردّدًا :

- أنت بالذات يا سيّدي قد أثرت دهشتنا إلى أقصى حد ، وربما كنت أنت السبب الوحيد لبقاء المجموعة أحياء ، وكذلك المجموعة الأخرى التي هبطت بعدكم ،سمحنا لها أن تهبط وتدرس كوكبنا دون أن نتدخل في عملهم ، كل هذا من أجلك أنت بالذات .

قاطعت (مروة) الصوت قائلة :

- ولماذا هو بالذات ؟

- نحن عادة- ربما لما حدث لكوكبنا فيما سبق- لا نُعطي الأمان لأي كائن كان ، وكان في استطاعتنا تدميركم منذ لمست أقدامكم سطح الكوكب، ولكن صديقكم هذا أدهشنا بحق، فقد أثبتت جميع التحاليل أنه يحوي جزءً منا ، خلاياه تحمل حياة جرثومية كاملة نابعة من هذه المجرة ، لذا كان يجب أن نعرف كيف استطاع جسده أن يتحمل وجود حياة أخرى بداخله، حتى ولو كانت حياة جرثومية دقيقة نابعة من مجرّتنا .

قالت (مروة) في سرعة :

- العينة ؟

ثم سكتت بغتة إذ شعرت أنها ارتكبت خطأ بقولها هذا،بينما تابع الصوت الهادئ مرة أخرى :

- أيَّ عينة تقصدين ؟

أجابه (طارق) في هدوء واثق :

- أنها عيّنة من مجموعتكم،جلبها الرواد الأوائل منا الذين هبطوا على أحد كواكبها ، وتم حقن (رأفت) بها على كوكبنا الأرض .

جاءهم الصوت مُتفائلاً وهو يقول :

- شكرًا لكم على صراحتكم يا سيّدي ، لذا سيتم التواصل ، كما أنه حدث أمر يدعو لذلك التواصل وبأقصى سرعة ممكنة ، فالمجموعة التي هبطت بعدكم فعلت شيئًا من الصعب تصديقه .

أخذت القاعة تزداد اتساعًا بالتدريج ، وتباعدت جوانبها في سرعة مدهشة وتضاعف حجمها عدة مرات ، بينما ظهر في أحد جوانبها سلم حلزوني الشكل مُتعدّد الدرجات يهبط من أعلى ، كان ذلك كله يتم بهدوء غريب .. فلم يسمع أحد أي صوت خلال تلك العملية الغريبة ..

لم يقف الفريق فقد ظل الجميع على مقاعدهم وكأنهم ينتظرون ما ستسفر عنه الأحداث ، لقد استنفذوا الكثير من طاقتهم وكانوا في حاجة ماسة إلى الراحة ، وأخيرًا هدأت الحركة ، وقفت حركة الاتساع للقاعة ، وهبط السلم حتى لمس أرضية القاع ، وبدأت حركة من نوع آخر ، فقد دلفت مجموعة مُسلّحة بأسلحة عجيبة الشكل إلى داخل القاعة عبر السلم ، بينما فُتِحت أبواب جانبية ، خرج منها مجموعة أخرى بنفس الشكل ..

ولم تمر هُنَيْهة حتى ارتجت القاعة بصوت حاد لم يفهم أحد من الفريق منه أي شئ ، ودلف إلى القاعة فرد جديد ، طويل إلى درجة مفزعة ، كان سكان الكوكب يتميزون كلهم بالطول المفرط ولكن ذلك الأخير بدى سكان الكوكب حوله كأقزام ، أحتل ذلك الأخير مقعدًا في صدر القاعة ، يتطلع إلى أفراد الفريق بعينين ذهبيتين متألقتين في شدة ، وكان من الواضح أنه (الإمبراطور) نفسه .

* * *

(7)

أخذ الحُرّاس وضع الثبات وكأنهم تماثيل من الشمع ، التشابه بينهم وبين البشر كان مُدهشًا إلى أقصى حد ممكن،ولكن المُلفت للنظر أن ملامح الوجوه لم تكن تظهر بشكل واضح، بل هي أشبه بصورة سالبة مشوشة!

هدأت الحركة في القاعة أو انعدمت تقريبًا ،و تطلع (طارق) إلى الجالس في صدر القاعة بعينيْن متُسائلتين ، فتألقت عينا (الإمبراطور) وأشار بيده للحراس الذين هدأت حركتهم تمامًا فبدأوا في الانسحاب ..

ولم يستقر في القاعة إلا (الإمبراطور) والقليل من الأفراد وبالطبع أفراد الفريق للإقامة الجبرية ، تسلل الصوت إلى عقولهم في هدوء تام :

ـ البداية أنا إمبراطور الكوكب (لورنز) ،وأنا أتحدث إليكم الآن عبر أحدث جهاز في الكوكب، إنه جهاز دقيق جدًا ، يُحوّل اللغة إلى موجات دماغية فائقة تتردد داخل العقل مباشرة ، وهي موجات عقلية يستقبلها العقل ويحولها إلى لغة أو بالأصح تسمعونها .

هتف (سعد) بغتة :

ـ مستحيل..الإمبراطور مات..آسف ،هذا ما تلقته أجهزتنا من رسالته التحذيرية ، وفي نفس الوقت من المستحيل أن تكون إمبراطور (لورنز).

انبعثت ضحكة داخل عقولهم مع صوت الإمبراطور وهو يقول :

ـ لماذا تقول هذا ؟

أجاب (سعد) في هدوء :

ـ أولاً لأنني أثق في حدسي،ثانيًا الرسالة العقلية المُخزّنة في عقلي والتي تم تحليلها سابقًا تقول أنها بُثت إلى الفضاء منذ قرنين من الزمان،ومن المستحيل ان تكون(الإمبراطور)لهذا السبب..الزمن يا صديقي

ضحك (الإمبراطور) وقال عبر جهاز المُترجم العقلي :

- ومن قال لك يا صديقي أن الزمن لدينا مُتشابه؟.. ما تشعر به أنت أنه سنوات قد يكون بالنسبة لنا مجرد سويعات قليلة والعكس كذلك ، أظن أنه يجب أن تراجع نفسك هذه المرة .

قطع (رأفت) حديثهم قائلاً :

- وما المطلوب منا الآن بالضبط .

تسللت الإجابة إلى عقولهم بصوت (الإمبراطور) الأجَشّ :

- للأسف الكوكب يتعرض مرة أخرى للخطر ، وربما هذه المرة أخطر بكثير من السابق .. وليس الكوكب وحده ، بل مجموعتنا الشمسية كاملة .

هَزّ (طارق) رأسه وكأنه يطرد خاطرًا ما ثم قال :

- ما معنى ما تقوله يا سيّدي؟ ، نود أن نفهم.. أنحن أسباب هذا الخطر؟

جاء الصوت المُترجَم داخل عقولهم :

- ليس بالضبط ولكنكم سبب غير مباشر لما يحدث الآن .

قاطعته (مروة) ضجرة :

- أرجو أن تشرح يا سيدي، فنحن لم نفهم شيئًا حتى الآن .

جاءهم الصوت عبر عقولهم كالعادة :

- سأشرح لكم ، لقد تم تجهيز طاقة رهيبة لتنفجر على سطح هذا الكوكب لقد رصدتها أجهزتنا ، إنها تصدر من السفينة الأرضية التي لحقت بكم.. ودرجة إشعاعها فائقة جدًا لدرجة لا يمكن تصورها ، وأظن أن تلك السفينة كانت تطاردكم .

جاء صوت (طارق) ساخطًا :

- والعمل الآن؟ .. إنها (سوزان) بكل تأكيد .

جاء صوت (الإمبراطور) هادئًا :

- نحن نستطيع أن نُدمّر السفينة تمامًا ، ولكن ليس في مقدرتنا معرفة

نتائج تدميرها ،و على متنها قنبلة كهذه قابلة للانفجار .
قال (رأفت) في هدوء :
- أظن أن لدينا الحل .
تطلعت إليه العيون وهو يستطرد قائلاً :
- أن نسلم أنفسنا لهم ، فـ (سوزان) لا تبغي من وراء هذا إلا تدميرنا نحن .. ونحن المقصودين فقط وليس سكان هذا الكوكب .
ضحك (إمبراطور) الكوكب وصوته يتسلل عبر عقولهم :
- وإذا تركت لنا هذه القنبلة كهدية ما العمل وقتها ؟ .. الحل الذي توصلت إليه غير مُجدٍ هذه المرة .
قال (طارق) بسرعة :
- إذًا إسمح لنا أن نُهاجم تلك السفينة ونُبطل عمل القنبلة ، أظن في استطاعتنا هذا .
جاءهم صوت (الإمبراطور) قائلاً :
- لقد حللنا عقولكم وشهدنا الكثير من الذكريات التي تشهد لكم بالبطولة ، والمعارك التي تفوقتم بها تدل على هذا ولكن إذا فشلتم .. ما النتيجة ؟
أجابه (رأفت) في ثقة :
- سنكون قد دفعنا حياتنا ثمنًا لهذا الفشل .
أتاهم الصوت الإمبراطوري هذه المرة هادئًا أكثر من العادة وهو يتسلل إلى عقولهم في سلاسة عجيبة :
- أنا أحب التحدّي لذلك أتمنى أن توفقوا،ولكن يجب أن تفهموا أننا لا نضحي بكم فباستطاعتنا أن نحل الموقف بطريقتنا ،ولكني أرى أنها معركة شخصية في الأساس ، لذا يجب أن تنهوا هذه المعركة بأسلوبكم أنتم.
قال (طارق) في ثقة :

- أعدك إننا سنبذل كل جهدنا حتى نوقف عمل هذه القنبلة .

قال الصوت الإمبراطوري :

- على كل حال سنترك لكم نصف عام ، تتصرفون خلالها وإذا لم تنجحوا سنضطر إلى التدخل وقتها بكل قوتنا ..و..

أوقف كلامه (مروة) وهي تقول في ذهول :

- مهلاً .. كيف يكون أمامنا نصف عام ؟.. هل ستعطوننا هي هذه المهلة قبل أن تدمر الكوكب ؟

قال (الإمبراطور) :

- لقد أعطتْ لنا الفرصة كاملة دون أن تعلم .

قال (سعد) في سرعة :

-كيف هذا ؟ .. إننا لا نفهم بعد !.

أجابه (الإمبراطور) ضاحكًا :

- الوقت يا صديقي ..الوقت .. لقد تم ضبط مؤشر القنبلة حسب أجهزة الرصد التابعة للساعة الأرضية ، والساعة الأرضية تمثل حسب سرعة الوقت على كوكب (لورنز) مقدار سنة كاملة ، لذا سنمنحكم نصف السنة ولنا نحن النصف الآخر .

حاول (طارق) أن يستوعب هذا الموقف الجديد ولكن كان هناك سؤال يُلح على عقله فقال :

- ولكن هل ستمر علينا السنة كاملة أم ستمر كساعة أرضية ؟

جاءه صوت (الإمبراطور) قائلاً :

- سنة كاملة بالنسبة للجميع..سنة(لورنزية)خاصة..أرجو لكم التوفيق.

إنسحب (الإمبراطور) من القاعة وترك الفريق في حالة من الدهشة العارمة ، إذًا فالوقت يختلف ، كان يجب أن يتوقعوا شيئًا كهذا ، كان من

الواضح أن حياتهم تتشابه كثيرًا مع حياة سكان الكوكب فهم يسكنون باطن الأرض وكذلك سكان الكوكب (لورنز) يسكنون باطن أرض كوكبهم .

تبادل أفراد الفريق النظرات و (الإمبراطور) يبتعد ، نظراتهم كلها تدعو للتحدّي ، نعم يجب ألاّ يسمحوا لـ (سوزان) أن تُدمّر هذا الكوكب مهما كانت العواقب ، فهذه حياة كاملة ويجب أن يحافظوا عليها بأي ثمن حتى لو كان هذا الثمن هو حياتهم نفسها .

قطع هذه اللحظات صوت قوي جاء من خلفهم :

ـ أهلاً بكم على الكوكب (لورنز) ، أنا في خدمتكم منذ هذه اللحظة وحتى نهاية نصف السنة .

إلتفت إليه (سعد) ورمق المتحدث بنظرة جانبية كان أقل طولاً من (الإمبراطور) وكان يشبه سكان الكوكب بكل تأكيد .

بل هو واحد منهم ، ولكن ما أثار دهشة الجميع أنه كان يتحدث بلغتهم.. نعم يتحدث .. اللغة تصل إلى آذانهم مباشرة وهناك فم يفتح ولسان يتحرك قال الشخص في ثقة وهدوء :

ـ نعم أنا أتحدث إليكم ولكن ليس بصورة مباشرة ، أنا العالم (فاوس) كبير عُلماء كوكب (لورنز) ، وربما كنت أحد الأسباب التي ساعدت هذا الكوكب على البقاء في الماضي .

قالت (مروة) في سرعة عجلة :

ـ وكيف تتحدث إلينا ؟ كيف عرفت لغتنا ؟

(فاوس) :

ـ ليس الأمر كما ترونه ..ولكن هناك جهاز ترجمة خاص جدًا من اختراعي، ودقيق جدًا في الحجم ولكنه ذي سرعة فائقة في الترجمة ..

ثم قرن القول بالفعل فأخرج جهازًا دقيقًا جدًا من تحت لسانه ليُريهم إياه..

ثم أعاده إلى مكانه وهو يستطرد :

- أظن أننا تعرفنا الآن ، والآن يجب أن نتحرك بسرعة ،حتى نوقف عمل القنبلة في أسرع وقت ممكن .

قال (طارق) :

- لك هذا يا سيدي ..ولكننا لا نعرف بعد كيف نخرج من هذه القاعة .

أشار (فاوس) بيده وهو يقول :

- إذًا اتبعوني وسنكون قرب السفينة المعادية بعد مدة قصيرة ، ولكن أظن إنها لن تكون معركة سهلة .

أومأ (رأفت) برأسه وهو يقول :

- بكل تأكيد لن تكون معركة سهلة .. بل ستكون مُميتة .. ومدمرة .

***

تراجع الدكتور (جوهر) بظهره داخل القاعة التي تحمل القنبلة (Z) أقوى قنابل الكون ، واقترب من أحد الأجهزة وراح يحاول أن يدير مؤشرها في الاتجاه العكسي ، لا فائدة ، مرت دقائق وهو يحاول جاهدًا أن يسيطر على أعصابه وهو يتحرك داخل القاعة في عصبية حادة ، وتتنقل أصابعه من لوحة مفاتيح إلى أخرى ، بينما أوصلت الآلية (ليندا) سلكًا رفيعًا خرج من أطراف أصابعها إلى الكمبيوتر الرئيسي للقاعة ، وأطلقت فيضًا من الأشعة الدقيقة في محاولة مستميتة منها لإيقاف عملية القنبلة (Z)،ولكن كان من الجليّ أن الأجهزة لا تستجيب لأي محاولة للاختراق،هناك قوة أكبر تحكم سيطرتها على القنبلة ، قوة من صنعوها ووضعوا فيها كل خبرتهم وذكاءهم ،بحيث أصبح من المستحيل إيقافها عن العمل عند إعطاء الأمر بتنفيذ الانفجار ..

كان صانعوها قد وضعوا في اعتبارهم تعطيل أي محاولة لإيقاف عمل القنبلة ، فمعنى أن أمرًا صدر بتشغيل العداد الزمني ، أن هناك خطرًا رهيبًا

يهدد كوكب الأرض ، ويجب القضاء عليه بأي صورة كانت .

أطلق الدكتور (جوهر) زفرة حادة وهو يفرك يديه في عصبية قائلاً :

- لقد أحسنوا صنع هذه القنبلة ولا مجال أمامنا لإيقاف عملها بأي صورة معروفة لدينا .

أخرجت (ليندا) طرف السلك الذي يمتد من بين أصابعها إلى داخل الكمبيوتر الرئيسي وهي تقول في صوت آلي عنيف :

- بل أحسنت هي تنفيذ عمل القنبلة ، لقد أعطت الكمبيوتر صورة خادعة لحرب كونية رهيبة يتراجع فيها أفراد الحُكم عن القتال بحيث أصبحت الأرض نهبًا للغزاة ، وبذلك استطاعت أن تعد القنبلة للعمل ، إنها خطة قذرة بجميع المقاييس ، لقد حاولتُ أن أسحب ذلك الأمر عن المصدر الرئيسي ولا فائدة .. العدّاد الزمني يعمل بمنتهى السرعة .

بلع الدكتور (جوهر) لعابه وهو يقول في عصبية وغيظ :

- والحل ؟ هل سنترك لتلك الغبيّة خطتها تسير وفق هواها دون أن نتدخل لوقفها؟ .. مستحيل .

- بالطبع مستحيل أيُّها الغبي ..

صدر الصوت من خلفه فدار نصف دورة واتسعت عيناه وهو يراها أمامه عاقدة ساعديها في تحدٍّ غامض .. قال صارخًا :

- *(سوزان) ؟*

أجابته في صوت مسيطر قوي :

- بالطبع (سوزان) ..وهل كنت تنتظر شخصًا آخر ؟

ساد السكون لبرهة قبل أن يقول ساخطا :

- كيف استطعتِ أن تدخلي هنا دون أن نشعر بكِ ؟.

ضحكت (سوزان) في استعلاء وهي تقول :

ـ الواضح أن كل شيء يدور حاليًا دون أن تشعر ومن خلف ظهرك.

تحركت (ليندا) بسرعة تجاه(سوزان) ، فأوقفتها بإشارة من أصابعها التي تضم شيئًا دقيقًا ،أدركت (ليندا) طبيعته فتراجعت للخلف ..

واصلت (سوزان) ضحكاتها قائلة :

ـ هائل.. لقد أدركتِ طبيعة ما أشير به إليكِ ، في المرة السابقة أوقفت أجهزتك عن العمل ، ولكن هذه المرة سأدمر خلاياكِ الأساسية تمامًا.

لم تشعر أجهزة(ليندا)بالخوف بطبيعة الحال،ولكن نظرًا للموقف فقد ظلت ساكنة وعيناها تتابعان تحركات (سوزان) بمنتهى الدقة والحذر ..

أطلق الدكتور (جوهر) صيحته :

ـ حذار أن تفعلي شيئًا كهذا .لقد كلفنا صنع (ليندا) الكثير، ولن يرضى مجلس الحُكم عن تدميرها .. هل تفهمين ؟

ـ ومن يهتم الآن بمجلس الحكم ؟

تسمّرت (ليندا) في مكانها بينما اقتربت(سوزان)منها وهي تضع الجهاز الدقيق على وجهها الآلي وتتلمس الجبهة بيدها الخالية قائلة:

ـ ما رأيكِ يا عزيزتي؟ .. من منا يتصف الآن بالغباء والحمق ؟

ولم تنبس الآلية (ليندا) بحرف بينما دارت (سوزان) حولها ويدها مازالت ملاصقة للوجه الآلي .

وقف الدكتور (جوهر) فاغرًا فاهه في ترقب وقلق بالغين بينما قالت (سوزان) في هدوء مريب :

ـ سأعقد معكما صفقة .. صفقة خاصة جدًا .

ـ وما نوعية هذه الصفقة المزعومة ؟

اتسعت ابتسامة (سوزان) وهي تقول :

ـ سأتركك تحيا حتى ترى نهاية ذلك الكوكب ومجموعته الشمسية .. وفي

نفس الوقت سأترك أجهزة (لينا) تعمل كما هي .. ولكن بشرط واحد ..

قاطعتها الآلية (ليندا) بصوتها الرتيب :

- وما هو هذا الشرط ؟

أجابتها (سوزان) في ثقة زائدة :

- هكذا نتفاهم .. شرطي بسيط ، في حالة أن يتدخل أي منكما في سير العملية سأضطر إلى تصفيته نهائيًا وبلا رجعة .

قال (جوهر) في حنق بالغ :

- أنتِ مجنونة !.. مجنونة بكل تأكيد .

ضحكت (سوزان) في نشوة بالغة :

- وما أفضل الجنون الآن يا صديقي ومعلمي !.

- أنتِ مجنونة .. أنتِ مجنونة.

بينما استمرت (سوزان) في الضحك في شماتة . .

و جنون .

***

(8)

كل شئ كان يدور في باطن الكوكب (لورنز) في هدوء تام ، لا تكاد تسمع أي حركة مهما كان عنفها أو شدتها ، كان أفراد الفريق يتبعون العالم (فاوس) الذي أخذهم في جولة داخل الكوكب (لورنز) أو بمعنى أصح داخل باطن الكوكب ..

حياة كاملة تدور في دقة متناهية ، وبترتيب زمني مدهش ، لا شئ يخضع للفوضى أو للصدفة ، كان الانبهار بأدق صوره يظهر على جميع أفراد المجموعة بلا استثناء ، وكم تمنّى (طارق) أن يكون لهم الحظ ويصبح باطن كوكبهم الأم بنفس النظام والدقة ، وبعد مُدّة ليست بالقصيرة استقر الفريق داخل أحد القاعات المخصصة للاجتماع ،وأشار لهم العالم (فاوس) أن يجلسوا.

سادت فترة من الهدوء والسكون لا يقطعه إلا تردد الأنفاس في صدورهم وأخيرًا قال العالم (فاوس) :

- لقد رأيتم الآن ما وصل إليه حالنا على كوكب (لورنز) ..

قال (مروة) في انبهار :

- إنكم مُدهشون !!.. مدهشون بالفعل !

تساءل (فاوس) :

- وما المدهش فيما رأيتم ؟

تناول (سعد) كوبًا من الماء جرعه دفعة واحدة ثم قال :

- الدقة يا صاح ..إنكم مُنظمون إلى أقصى درجة ممكنة !.. دقة رائعة.

ابتسم (فاوس) وهو يقول :

- ومن قال إن الدِقّة دائمًا تكون مُدهشة ، أحيانًا يحن الفرد إلى لحظة من الفوضى .. الفوضى تعطي للحياة مذاقا خاصًا.

قال (طارق) ضاحكًا:

- لك بعض الحق في هذا ..ولكن يكفيكم ما وصلتم إليه الآن من تطور

قال (فاوس) في اعتداد :

- إنه تفوق ندفع ثمنه الآن بأن نعيش في باطن الكوكب كالحيوانات ، إننا ندفع ثمن التطور ولكننا نحلم بيوم نظهر فيه مرة أخرى على سطح الكوكب .. ولكن متى ؟! ..هذا ما لا نعلمه الآن .. ولكننا نعيش من أجل ذلك الأمل .

قال (طارق) وقد بدى التفكير واضحًا على ملامحه :

- وهذا ما نحلم به نحن أيضًا.. ولكن الكل يحلم بطريقته .

تنحنح (فاوس) ثم قال :

- والآن لنَعُد إلى العمل ، فالأفراد الذين يطاردوكم مختلفون نهائيًا عنكم .. لذا حان وقت المواجهة .

و إستطرد في جدية :

- لقد أعدّ (الإمبراطور) خطة خاصة لكم ، تناسب طبيعتكم البشرية.

قاطعه (طارق) قائلاً :

- لا أحد يضع لنا خطط .. نحن فقط من يقرر الخطة ونحن من ينفذها أيضًا

قال (فاوس) مُعترضًا :

- ولكنكم لا تعرفون طبيعة ما تواجهونه ، ولا تدركون أجواء الكوكب (لورنز) ولا أخطاره ، لذا سوف تلتزمون حرفيًا بخطتنا .

قالت (مروة) في سرعة :

- وإذا رفضنا .. ما الحل ؟

أجابه (فاوس) في قلق :

- لا مجال للرفض .. سنتركم تنفذون ما تقررونه ولكن إسمحوا لي أن أساعدكم قدر استطاعتي .. ما رأيكم ؟

تراجع (طارق) للخلف وأسند وجهه براحتيه ثم قال :

- نحن لا نرفض المساعدة ، وأيضًا لا نرفض خططكم قبل أن نعرفها .. وإذا لم ننفذها سوف نستفيد منها على أي حال .

ضحك (فاوس) وخرج صوته مُتحشرجًا وهو يقول :

- هكذا يكون الرجال ..

وصمت برهة تبادلوا خلالها النظرات ثم مال (فاوس) برأسه للأمام وهو يقول :

- والآن يا أصدقائي ، إسمحوا لي أن أخبركم الخطة كاملة ، وأتمنى أن تجد لديكم قبولاً ، لقد أحطنا السفينة الأرضية والمنطقة المحيطة بها بنوع خاص من الأشعة، يجعل الوقت يمضي فيها بسرعة أبطأ مما هو عليه بالفعل.. والآن ..ما سنفعله هو ما يلي ..

وبدأ (فاوس) في سرد خطته ،و المدهش أنها كانت غريبة بالفعل ، ولكنها في الوقت ذاته تستحق أن يشهد لها جميع أفراد الفريق بأنها عبقرية..

انعقدت الألسنة لفترة وتبادل الفريق النظرات مرة أخرى عندما انتهى العالم (فاوس) من كلامه ..

قالت (مروة) بعد فترة صمت :

- ما يدهشني أكثر ويزيد حيرتي ، أنكم رغم الإمكانيات العلمية الفائقة لديكم لم تدمروا المركبة الأم وهي تحمل لكم أبشع مصير محتوم .

قال (فاوس) وهو يحدّق فيها بعينيه السوداويين الواسعتين :

- القتل هو أبشع شئ في الوجود ، ونحن لا نلجأ إليه إلا للضرورة القصوى مهما كان حال الخطر الذي يهددنا..القتل يا سيّدتي أمر مرفوض.. ونحن نمقته تمامًا ، الموت بشع والقتل رهيب مخيف .

والآن .. ما رأيكم هل ستنفذون خطتنا أم لديكم البديل لها ؟

أجابه(طارق) قائلاً :

ـ من الصعب حقًا أن نرفض خطة كهذه .. بل من غير المعقول أن نفتش عن حل والطريق أمامنا واضح والحل صريح ..أليس كذلك ؟

هزّ أفراد الفريق رؤوسهم موافقين ، واهتزت أجسادهم وهم يتبادلون التحية .. وأشرقت الضحكة في عيون الجميع ، وكأنهم توصلوا أخيرًا إلى حل جذري لمشكلتهم الكبرى .

ورنت في القاعة صوت ضحكاتهم الصافية .

***

تهيأت (سوزان) لتنفيذ خطتها و أعدت كل شيء بنفسها ، و تبعها الدكتور (جوهر) كظلها يُحاول أن يجد ثغرة في خطتها يستطيع أن ينفذ من خلالها ، ولكن دون جدوى ..

كانت(سوزان) قد عقدت العزم على أن تستمر في خطتها إلى النهاية مهما كلفها الأمر..وماذا سيكلفها غير حياتها التي أصبحت مرهونة بخطة بشعة مميتة ؟

وقد قامت بلصق جهاز دقيق الحجم بجسد الآلية (ليندا) ، فإذا حاولت الآلية أن تخلعه من مكانه أو تحركت ، أطلق الجهاز شحنة مدمرة تدمر جميع الشبكات الإلكترونية وتصبح (ليندا) وقتها مجرد قطعة خردة، لذا فقد ظلت الآلية ساكنة في مكانها داخل القاعة (Z) ـ بعد أن تركتها (سوزان) هناك ـ ، وأخذت تحاول هي أيضًا أن تجد حلاً بديلاً لموقفها ..

وأيضًا وصلت لنفس النتيجة.. لا جدوى ..

وشيئًا فشيئًا استسلمت (ليندا) لموقفها الجديد ، فلقد أحكمت (سوزان) سيطرتها على جميع الأمور ، و هذا الكوكب بعد مُدّة يسيرة سيصبح مجرد ماض .. ماض بات غابرًا !

ظل الرجال خارج المركبة الأم يجمعون العينات من أرض الكوكب (لورنز)

دون أن يتبادلوا الكلمات ، كانت الأوامر صريحة بجمع أكبر قدر من العينات وفحصها بكل دقة ، لم ينتبه أحدهم لما يحدث من وراء ظهورهم

وظل القمر (زوت) يرسل إشارات وهمية تفضي إلى استحالة وجود الحياة على هذا الكوكب ، بينما إنكب الكثير من الرجال في البحث والتنقيب، وقتها كان هناك مجموعة أخرى تخترق الكوكب ولكن من الباطن ، حيثُ كان أفراد فريق (طارق) يخترقون باطن الكوكب عبر ممرات خاصة ، أوصلتهم بالقرب من المركبة الأم..

كانت الممرات ناعمة ويغمرها ضوء خافت شحيح ، ولكنه يكفي لينير لهم طريقهم ،وكان يتقدمهم العالم (فاوس) الذي يرشدهم بمنتهى الدقة إلى طريقهم ، ظلت المجموعة تسير لمدة ليست بقصيرة وقد ظهر على بعض أفراد الفريق التعب وتفصد العرق بغزارة من الجباه ، ولكنهم كانوا مصممين على المضي قدمًا في طريقهم رغم كل المشاق ..

ربّت (فاوس) على كتف (طارق) وهو يقول بصوت هادئ :

- الآن نحن تحت المركبة الأم كما تطلقون عليها ، ولم يشعر بوجودنا أي كائن كان .

أطلقت (مروة) تنهيدة حارة وهي تقول :

- أخيرًا ، لقد ظننت لفترة إننا لن نصل أبدًا إلى تلك المنطقة .

قال (فاوس) بنفس الهدوء السابق :

- نحن لم نكن نصل بالفعل إلى هذه المنطقة بتلك السرعة ، لولا إني اجتزت بكم منطقة الأنشوطات الزمنية .

تساءل (طارق) في سرعة :

- ما معنى هذا ؟.. ما هي الأنشوطات الزمنية التي تقصدها ؟

أجابه (فاوس) وعيناه تتقدان في ذكاء :

- تلك الممرات الخافتة التي قطعناها منذ قليل ، لم تكن سوى ممرات زمنية خاصة تختصر الوقت إلى أقصى درجة ممكنة ، نوع من التنقل الزمني البسيط وهي أقصى ما وصلنا إليه من علوم زمنية .

لمعت عينا (طارق) وهو يقول :

- آلة زمن!! .. الممرات عبارة عن آلة زمن .. أليس كذلك ؟

ضحك العالم (فاوس) وهو يقول :

- ليس إلى هذه الدرجة يا صديقي ، بل هي ممرات تختصر الزمن فقط ، معادلة بسيطة بين الزمن والمسافة ، إننا لم نصل بعد إلى ما تدعوه بآلة الزمن .

إزدرد (طارق) ريقه وشرد بذهنه بعيدًا إلى الأرض وإلى تلك الرسالة التي أستقبلها عقل (سعد) في البداية ..

أمن الممكن أن تكون الرسالة صحيحة؟ ، كوكب يسبقهم في العلوم بآلاف السنين، ورغم ذلك لم يتوصل علماؤه إلى آلة الزمن ، فهل من الممكن أن يتوصل إليها عالم أرضيّ في زمن لم يبلغ الكوكب فيه إلا نذر يسير من التطور العلمي ؟! ..

السؤال يُلِح عليه باستمرار ، هزّ رأسه في قوة وكأنه يطرد كل أفكاره جانبًا وما لبث أن إستطرد قائلاً :

- والآن هل سننتقل إلى الخطوة الجديدة ؟

ربّت (فاوس) على كتفه مرة أخرى وهو يقول :

- بالطبع يا صديقي ، وهل هناك بديل ؟!

قال (رأفت) في سرعة :

- بالفعل لا بديل أمامنا .

قالت (مروة) في سرعة خاطفة :

- أين أنت يا رجل؟ .. لقد ظننت لفترة أنك فقدت قدرتك على الحديث .
ضحك (راجح) قائلاً :
- ليس وحده .. أظن أننا جميعًا فقدنا قدرتنا على الكلام ، فالأحداث تتوالى علينا بسرعة لا نستطيع خلالها أن نتبادل الحديث .. الفِعل يكفينا .
أومأ (سعد) برأسه وهو يقول :
- هو كذلك بكل تأكيد ،فنحن نمر بفترة صعبة لم أتخيل يومًا أن نمر بها.
داعب (رأفت) رأس (سعد) وهو يقول :
- والآن إلى العمل يا صديقي.. لا وقت لدينا للحديث .
هزّ (طارق) رأسه وهو ينظر إلى العالم (فاوس) الذي أخرج من حقيبة يحملها في يده جهازًا يُشبه الصاعق الكهربائي رفعه إلى أعلى وضغط جانبًا ، فبرز من جانب الممر سلم دائري يصعد إلى أعلى بينما انفتحت كُوّة في نهاية السلم وظهر ضوء بسيط في نهايته ، صعد الفريق السلم تباعًا يتقدمهم العالم (فاوس) وما أن استقر على الدرجة الأخيرة من السلم حتى وقف لبرهة ينتظر حتى أصبح الجميع بجواره على نفس الدرج ، فأطلق الصاعق مرة أخرى إلى أعلى فراحت الكُوّة تزداد اتساعًا ، خرج أفراد الفريق بالكامل إلى الخارج ، السفينة الأم فوقهم مباشرة ، ثلاثة أمتار فقط تُبعدهم عن باطنها ..
انطلقت من الأفواه بعض الهمهمة ، فأشار إليهم (فاوس) بيده ، فلزم الجميع الصمت وضغط (فاوس) على زر جانبي في الصاعق بدى بعدها كأن الأرض ترفعهم إلى أعلى حتى قاربت رؤوسهم باطن السفينة الأم ، أنه نوع من المصاعد الخاصة ، تحسّس (فاوس) باطن السفينة بيده ثم أشار لـ (طارق) الذي أخرج من حزامه طوقًا معدنيًا صغيرًا ألصقه بباطن السفينة ، ثم ضغط على زر في حافة الطوق الذي أخذ يتسع تدريجيًا، ثم أصدر الطوق أزيزًا خافتًا ، سحب وقتها (رأفت) الطوق من مكانه ، ثم ضغط بيده على

جانبه ، فبدأ الطوق في الانكماش مرة أخرى ، مُخلفًا وراءه فتحه كبيرة في باطن السفينة الأم ..

ضغط (فاوس) مرة أخرى على جانب الصاعق ، فارتفع أفراد الفريق إلى أعلى ، وأصبح الجميع بالداخل ..

لقد اختاروا المكان جيدًا ، إنهم داخل حجرة الآلات ، حجرة خاصة يتحكم في إدارتها كمبيوتر عملاق يحتل منتصفها ..

تنفس (طارق) الصعداء وهو يقف داخل المركبة الأم ، ثم قال في صوت أجش يموج بالفرح :

- أخيرًا أصبحنا داخل مملكتهم الخاصة، والآن حان وقت التحرك والانتصار .

هزّ (سعد) رأسه وعيناه تتقدان فِكرًا :

- نعم حان الوقت ، ولكننا نجهل خريطة تلك المركبة ، وينقصنا الوقت للتعرف على تجهيزاتها .

ضحك (فاوس) ملئ شفتيه وهو يقول :

- ومن قال هذا يا صديقي ؟ .. إننا نعرف كل شبر في تلك المركبة ، وندرك جيدًا عدد حجراتها وممراتها ، بل ندرك أيضًا عدد الأفراد القائمين على تشغيلها وعملها .

قالت (مروة) في فرح صبياني :

- حقًا ؟ .. أتدرك كل شئ على متن تلك المركبة الأم ؟

قال (فاوس) وابتسامته تتسع :

- بالطبع .. نحن ندرس خصمنا جيدًا قبل كل معركة ، ونعلم حجم إمكانياته العلمية ، حتى لا نقع في ورطة لا نستطيع الخروج منها .

قال (رأفت) مُتعجّبًا:

- ولكنك لم تطلعنا على هذا من قبل ، ولم تعطِ لنا أي إشارة إلى ذلك !

مال (فاوس) بجسده جانبًا ، وطرح حقيبته الجلدية أمامه وفتحها ، ثم أخرج من داخلها خريطة ضوئية بسيطة ، فردها أمام الفريق ، ثم بدأ يشير إلى نقاط محددة مضيئة على الخريطة ، وهو يشرح ببساطة متناهية تركيب السفينة الأم وكيفية عمل كل غرفة منها ، بل والإمكانيات المتاحة للسفينة في دقة أذهلت أفراد الفريق جميعًا .

فصفق (راجح) في هدوء ثم قال :

- إنكم رائعون بالفعل ، ولكن متى جمعتم كل هذه المعلومات ؟ وكيف؟.

قال (فاوس) وهو يُحافظ على ابتسامته :

- لكل منا مصادره وقدراته يا صاح .

قالت (مروة) في عجالة :

- لك كل الحق ، والآن أليس من الأفضل أن نتحرك حتى لا يشعر بوجودنا أحد ؟

قال (فاوس) وابتسامته عالقة على شفتيه المكتنزتين :

- هذا أيضًا فكرنا فيه قبل وضع الخطة ، فتلك الحجرة لا يتردد عليها أفراد الصيانة إلا مرة واحدة في اليوم وتلك المرة كانت منذ دقيقة واحدة ، فمازال لدينا الوقت الكافي حتى ننفذ الجزء الأول من الخطة بهدوء ودون عجلة حتى لا نترك أي فرصة للخطأ .

قال (طارق) مُتوجّسًا:

- ولكن قد يدهمنا الوقت ، ولا نستطيع أن ننفذ الخطة كما ينبغي أن تكون .

ضحك (فاوس) وهو يقول :

- الوقت يا صديقي لا يُمثّل لنا الآن أي مشكلة ، فطبيعة الزمن والوقت لدينا لا تخضع لمقاييسكم الأرضية .. ألا يحمل كوكبكم اسم الأرض ؟ ..

قال (رأفت) وقد ضاق بكل هذا الحديث :

نعم هو كذلك، والآن لنسرع فنحن نضيع الفرصة بمحادثات لن تنتهي.. فالنؤجل الحديث لوقت آخر .

قال (فاوس) وقد رسم الجدّ على ملامحه :

- لك هذا يا أرضي .. لك هذا.. لكن أسمح لي أن أثبّت الصور داخل المركبة وأعطل كاميرات التصويرأولاً.

تحرّك (فاوس) بعد أن دس الخريطة الضوئية في حقيبته العجيبة ، وتبعه الفريق في هدوء يُحسدون عليه في وقتٍ كهذا ، إقترب (فاوس) من الباب الرئيسي للحجرة ، بينما وصل(راجح) إلى الكمبيوتر العملاق وأخذ يعمل على توصيل حقيبة إلكترونية بالذاكرة الإلكترونية للكمبيوتر ، ثم تدفق سيل من المعلومات المُخزّنة داخل الحقيبة الإلكترونية إلى الذاكرة الرئيسية للحاسب العملاق التي أخذت شاشته تُضئ وتنطفئ في سرعة عجيبة ، مرت برهة قبل أن تهدأ الإضاءة المنبعثة من الشاشة ويصدر صوت آلي من الكمبيوتر يعلن في بساطة ، إنه استقبل الأوامر الجديدة .. وستنفذ في الوقت المحدد ، هدأت ملامح (راجح) بعد أن انتهى من مهمته ، واقترب الجميع من البوابة الرئيسية للغرفة الذي أخذ بابها يُفتح في سلاسة ، وهو يطلق أزيزًا مُنخفضًا بعض الشئ ..

كان (طارق) أول من تسلل خارج الباب فقد خزّن عقله الخريطة الضوئية كلها ، بل أصبح يحفظ ممرات السفينة عن ظهر قلب ، وتبعه (فاوس) مُتعجّبًا من السرعة الرهيبة التي حفظ بها عقل (طارق) كل المعلومات التي انهمرت عليه من الخريطة الضوئية ، وقال لنفسه إن ذلك الرجل القزم ،عملاق بحق!

لم يلحظ (طارق) عيني (فاوس) وهما تتابعانه في كل خطوة يخطوها فقد كان منشغلاً بالخطر ، إنه يعرف طريقه جيدًا ولا مزيد للشرح، سيتجه

مباشرة إلى الحجرة (Z) حيث مولدات الطاقة النووية ، وحيث تقبع أبشع قنبلة في الوجود ..

وعند الرواق المؤدي إلى الغرفة (Z) انفصل أفراد الفريق حسب الخطة السابقة .. كل اثنين معًا ..

(راجح) تصطحبه (مروة) ، و (سعد) بجوار (رأفت) ، كل شخص يعرف المطلوب منه تمامًا ،بينما ظل (فاوس) يتبع (طارق) في بساطة وحزم ، الأقدام تتسارع والأنفاس تتلاحق ، وكلٌ يمضي في طريقه ..

أصاخ (طارق) السمع لدقيقة ساد خلالها الصمت داخل الممر الممنوع الاقتراب منه إلا بأوامر خاصة من القائدة مباشرة ، وحمد الله أن تلك الأوامر أتت في مصلحته ..

اقترب من البوابة الإلكترونية ، وقرأ التحذيرات الطويلة المتراصة على الباب أمامه ، ثم شرع يعالج الرتاج الآلي في سرعة ، بينما ظل (فاوس) يتابعه في ترقب حذر وأصابع (طارق) الدقيقة تواصل عملها في سهولة ويسر ولم تمر دقيقتان حتى أطلق الباب أزيزًا خافتًا وفُتِح على مصراعيه، تطلع (فاوس) إليه وتلاقت نظراتهما في إعجاب متبادل ، ودلفا سويًّا إلى داخل الغرفة (Z) ، أغلق (طارق) الباب خلفه بنفس الطريقة التي اتّبعها في فتحه ..

تطلع (طارق) إلى العدّاد الزمني للقنبلة(Z)، ثم جمدت نظرته بغتة..

فقد كان أمامه الآلية (ليندا) تقف ساكنة بلا حراك ، أخرج بسرعة مسدسًا خاصًا من حزامه وراح يشير به إلى الآلية (ليندا) التي لا تزال ثابتة في مكانها هادئة ساكنة وكأن لا يعنيها كل ما يدور حولها ، وعيناها الآليتيْن تُتابعانه في تحركه القلِق ، وظل (فاوس) على هدوءه العجيب في حين أن أعصاب (طارق) كادت أن تحترق ، و (ليندا) على حالتها الجامدة ، ربتّ

(فاوس) على كتف (طارق) الذي انتفض تحت يده للحظة ثم أفاق ، إن خوفه لا مبرر له ، فقد لاحظ أن هناك شيئًا ما يُعطل (ليندا) عنْ العمل ، وذلك أيضًا في مصلحته ، ولكنه كان يتساءل بينه وبين نفسه :

ـ تُرى ماذا حدث ؟!

إقترب (فاوس) منه وقال في هدوءه المُستمر :

ـ تلك الآلة معطلة عن العمل .

قال (طارق) في صوت مختنق :

ـ أكنت تعلم هذا أيضًا ؟!

لم ينتظر (طارق) حتى يُجيب (فاوس) سؤاله ، بل إنطلق بغتة في سرعة تبدو بطيئة ولكنها أقصى ما يمكن أن تصل إليه قدماه ، واقترب من العدّاد الزمني ، ولم يعد يُلقي بالاً إلى (ليندا) ، التي تتبعه في كل لحظة بنظراتها وكأنها تُبارك ما يفعله ، لعله يستطيع أن يفعل ما فشلت هي عن فعله..

ولأكثر من عشر دقائق ظل يعمل على العداد الزمني ، وأصابعه الدقيقة تُتابع حركتها على أزرار الحاسب الآلي ، ثم أطلق زفرة ساخنة وهو يبتلع ريقه في صعوبة قائلاً :

ـ لقد عملت هذه المجنونة (سوزان) على خطتها كما ينبغي .. فلا مجال لإيقاف عمل القنبلة .. لا توجد وسيلة معروفة لدى .. لقد فشلت .. نعم يجب أن اعترف إنني فشلت .

ثم إلتفت بظهره وخاطب الآلية (ليندا) صائحًا :

ـ لهذا كنتِ تتابعيني وأنا أعمل دون أن يصدر منك صوت ، كنتِ تعلمين مُقدّمًا أنه لا سبيل لإيقاف القنبلة ، أليس كذلك ؟

قالت (لينا) في استفزاز:

- لقد كنت أتمنى أن تصل إلى طريقة لإيقاف عمل الجهاز ، تمنيت للحظة أن تحقق هذا الهدف ، ولكن من الواضح أن إمكانياتك العقلية لا تساوي شيئًا ، ظننت للحظة أنك ستفعل ما فشلت أنا فيه ، ولكن خاب رجائي على ما أظن .

قال (طارق) في غيظ :

- حمقاء .. بل أكبر حمقاء في التاريخ تلك التي تضحي بنفسها وبكوكب كامل لأجل انتقامها الشخصي !.. حمقاء .

ربّت (فاوس) على كتفه بينما ظل (طارق) مُحتدًا وهو يستطرد :

- سأحطم تلك الحمقاء قبل أن تدمرنا ، سأجعلها تعض على أناملها من الغيظ قبل أن تدرك هدفها البغيض .

أمسك (فاوس) بذراعه وهو يقول :

- إهدأ يا رجل..الغضب لا فائدة منه.. وإذا سيطر عليك سيجعلكَ تتخبط في طرقات لا فائدة منها .. إهدأ.. ولننتقل إلى الخطوة الأخرى من الخطة .

ابتلع (طارق) ريقه في صعوبة بالغة ثم تنهد في حسرة وهو يقول :

- كنت أبغي أن أوقف عمل هذه القنبلة .. كنت أبغي ذلك حقا .

- أعلم هذا .

أطلق (طارق) تنهيدة أخرى ثم تحرك في بطء تجاه الباب الرئيسي للغرفة (Z) ، وراحت أصابعه تتحرك بنفس المِنوال على أزرار الرتاج الآلي ولكن هذه المرة دون حماس ، ثم غادرا القاعة سويًا ، وأجهزة (ليندا) الآلية تتابع خروجهما في لامبالاة ..

***

فردت (سوزان) قدميها على أريكة أمامها داخل غرفتها الخاصة وراحت تنفث دخان سيجارها الفاخر في استمتاع تام ، بينما جلس الدكتور (جوهر) على مقعد مُقابل لها وقد وضع رأسه بين راحتيْه وراح في تفكير بعيد ، كانت

(سوزان) تتابع كاميرات المراقبة الخارجية ، والرجال مُنشغلون خارج المركبة بعملهم ، وطاقم القيادة يجلسون داخل القاعة الأساسية ، ويُتابعون عملهم في نشاط ملحوظ ، لا أحد يدري حجم الكارثة المحيطة بهم ، ولا نوع الخطر الذي ينتظرهم ، كل شيء يتم بصورة هادئة، والقمر(زوت) مازال يمارس عمله في فضاء الكوكب بلا مُعوّقات..

أطلقت (سوزان) أنفاس سيجارتها في الهواء ، وأخذت تُحدّق في الدخان المتصاعد من فمها وهي في قمة النشوة والسعادة ..

رفع الدكتور (جوهر) رأسه إليها ثم قال في استسلام :

ـ إلى متى سنظل في هذا الوضع ؟

نفثت (سوزان) دخان سيجارتها وهي تجيبه في هدوء مستفز :

ـ إلى النهاية يا صاح .

قال (جوهر) في غضب حاول أن يكتمه :

ـ ولكنك تقتلين نفسك بهذا!

قال (سوزان) مداعبة :

ـ ومن مِنّا لن يموت ؟ من لم يمت بالسيجارة مات بغيرها .

هتف (جوهر) في عصبية زائدة :

ـ أنت تفهمين ما أقصد، فلا داع للتلاعب بالعبارات .

قالت (سوزان) وهي تطرقع أصابع يديها :

ـ لكل منا طريقته يا سيدي ، ومن يريد الانتصار يجب أن يستغل كل الفرص المتاحة إليه مهما كانت بشاعتها..أنت علمتني هذا.. أنسيت ؟!

بلع (جوهر) لعابه وهو يقول في حدة :

ـ نعم أنا من علمك هذا .. وكنت أعتبركِ ابنة لي ، ولكن لم أكن أتصور أن يصل بك بشاعة التفكير إلى هذا الأمر الرهيب .

قالت (سوزان) وهي تحرك السيجارة بين يديها :

ـ دعنا من هذا الآن .. ودعني أستمتع بالفوز .. فإنه فوز مستحق .

قال (جوهر) وشفتاه ترتعشان :

ـ بل هو فوز كاذب .. فوز وهمي لا أساس له من الصحة .

عدلت (سوزان) من جلستها واتقدت عيناها بالشرر وهي تهتف :

ـ ليكن .. ولكن لا مجال الآن للتراجع .. لا مجال ، مُحال أن أسمح لهؤلاء المُشوّهين بالفوز عليّ مرة أخرى .. مُحال .. هل تفهم .. مُحال ؟!

ـ من قال هذا ؟

هبّت (سوزان) من مقعدها ، وفغرت فاهها في ذهول ، وتحشرجت أنفاسها بدخان السيجارة وانتابتها نوبة سعال حاد ، وألقت السيجارة من بين أصابعها وهي تحدق في (راجح) الذي وقف أمامها في تحدٍّ وزهو وهو مُمسك بمسدس أشعة يوجهه اتجاهها ، بينما ظل الدكتور (جوهر) في مكانه مُلقيًا رأسه بين يديه ومُجهشًا بالبكاء كالطفل الصغير وقد اقتربت (مروة) منه ووضعت مسدسها الإشعاعي في مواجهته ..

قال (جوهر) من خلال نشيجه الجاف :

ـ لا داعي يا ابنتي لذلك المسدس .. فإنني مستسلم تمامًا لما يجري .

صرخت (سوزان) فيه ، وكأنها تريد أن تنفث عن غضبها :

ـ أحمق .. مجنون ..

قالت (مروة) في تحد سافر :

ـ بل أنتِ المجنونة بحق ..

صرخت (سوزان) مرة أخرى في غضب مكتوم :

ـ كيف دخلتم إلى هنا ..كيف ؟

وطفقت عيناها تراقب شاشات الرصد التي تنقل لها كل ما يدور على متن

السفينة الأم ..

وهتفت في حنق بالغ :

- إنها صورة وهمية .. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟! مستحيل !

قال (راجح) وهو يقترب منها :

- لكل منا أخطاؤه يا زميلة ، ولقد صوّر لك غرورك ، إنك وصلتِ إلى قمة مجدك الشخصي .. فلِمَ تهتمين بمتابعة رجالك وهم يعملون ؟

ضحكت (سوزان) في جنون ، وعيناها مُتسعتان إلى آخر مداها وهي تقول :

- ولكن ذلك لا يُغيّر من الحقيقة شيئًا .. كلكم ستموتون .. كلكم .

وعلت ضحكاتها إلى أقصى حد ، ضحكات الجنون المطلق ، ظل الدكتور (جوهر) ساكنًا صامتًا و (مروة) تقول في استفزاز :

- ربما تغيّر الآن كل شئ وأنتِ تعلمين ذلك .

ظلت عينا (سوزان) على اتساعهما وهي تصرخ :

- غير معقول .. من المستحيل أن توقفوا تنفيذ خطتي .. كل شئ سينفجر بعد قليل .. كل شئ .. هل تفهمين ؟ .. بعد قليل .

قال (راجح) في هدوء وتحد :

- ربما يتغير الكثير في هذا القليل الذي تقصدينه .

اقتربت (سوزان) منه ، وضعت وجهها قبالته وهي تقول :

- أنتم واهمون .. واهمون بكل تأكيد .

ثم صاحبت اقترابها بأن ضغطت على زر خاص في ساعتها ، فدوت صفارات الإنذار تدق في السفينة بشكل مزعج رهيب وهي تردف قائلة :

- ألم أقل لكم أنكم واهمون .

صرخت (مروة) في غضب :

- ماذا فعلت أيها المجنونة .. لقد أشعلتِ حربًا ستندمين عليها .

قالت (سوزان) في استمتاع غريب :

- لكل حرب ضحاياها يا عزيزتي .

اقتربت (مروة) منها في سرعة وغضب ، ثم لكمتها في وجهها بكل عنف ، لكمة أودعت فيها كل قوتها .. فسقطت (سوزان) على الأرض فاقدة الوعي فأسرعت (مروة) بشدّ وثاقها وتقييد يديها خلف ظهرها بقيد فولاذي لا تستطيع أن تتخلص منه مهما حاولت .

فقال (راجح) في تعجّب وهو يُتابع حركة (مروة) النشطة :

- ماذا تفعلين ؟

أجابته (مروة) في بساطة :

- آخر شئ نتمناه الآن أن تكون في قدرتها مقاومتنا ، من مصلحتنا أن تكون فاقدة الوعي طوال الوقت .

وصاحبت قولها برش وجه (سوزان) بمادة مخدرة تجعلها تغرق في سُبات عميق لمدة كافية ، ثم اقتربت من الدكتور (جوهر) وهي تقول :

- أظن أنك قلت إنك مستسلم لما يجرى .

أومأ الدكتور (جوهر) برأسه وهو في مكانه بينما شرعت هي في رش المادة المخدرة على وجهه هو الآخر ، وفي هذا الوقت كانت صفارات الإنذار تدوي بكل قوة وعنف ، وانتشر قادة السفينة وجنودها في الممرات مشهرين السلاح ، وحملة تفتيش كاملة تمر بها السفينة في سرعة ، تلقى الجنود الأوامر بالقتال عند أي شك ، تسلل (طارق) إلى أحد الممرات الجانبية يتبعه (فاوس) كظله..

قال (طارق) في عصبية وهو يختفي خلف أحد أعمدة السفينة :

- لقد اكتشفوا الأمر .. ما الحل الآن ؟ .

قال (فاوس) في سرعة عجيبة بعض الشئ :
- لا يهم الآن .. فالخطة تسير وفقًا لمعاييرنا نحن وليس هم .
قال (طارق) في توتر :
- ولكن القتال المباشر ليس هدفنا .. ولن نربحه بسهولة .. كان الأحرى بنا أن نتجنب القتال مهما كان الأمر .
وضع (فاوس) يده على شفتي (طارق) وهو يقول :
- صهِ .. إنني أسمعهم يقتربون .
تجمدا في أماكنهما للحظة بدت كالدهر ، والرجال يسيرون من أمامهما شاهرين السلاح ومستعدين لإطلاق النار في أي لحظة ..
أطلق (طارق) زفرة حاول أن يكتمها وهو يهمس :
- هم لن يكونوا آخر من يحاول رصدنا وقتلنا ، ستمر بعد دقيقة مجموعة أخرى ، أنا أعرف ذلك التنسيق القتالي .
قال (فاوس) في صوت هادئ :
- إتصل بأعضاء الفريق و أخبرهم أن يظل كل منهم في مكانه ، سنقاتل تبعًا لمقاييسنا نحن وليس هم .
استدار (طارق) إليه وهو يقول :
- وما هي هذه المقاييس التي تقصدها ؟
ربت (فاوس) على كتفه وهو يهمس بدوره :
- جنودنا سيخوضون القتال بدلاً منا في الوقت الحالي .
اتسعت عينا (طارق) دهشة وهو يقول :
- أي جنود؟!! .. نحن لم نصحب معنا أي جنود !.
أطلق (فاوس) ضحكة قصيرة وهو يقول :
- ومن قال هذا ؟!

ومع نهاية كلمته وضع حقيبته الجلدية جانبًا ، ثم أخرج منها رقعة تحوي عددًا ليس بالقليل من الدُمى الصغيرة التي ترتدي ملابس الجنود .

حدّق (طارق) فيه لثانية ثم قال بغتة :

- ما هذا ؟! إنهم يشبهون لعب الأطفال على كوكبي !.

قال (فاوس) بسرعة :

- إنهم جنودي .

قال (طارق) في ضيق صدر :

- أتسمي هؤلاء جنود ؟ أتعبث معي ؟!

أشار (فاوس) له أن يصمت ، وبدأ يضغط على أزرار جانبية في قاعدة كل دُمية ..

ومع ضغطه على الزر الأخير لآخر الجنود ، تحركت الدمى الصغيرة إلى وسط الممر..تحركت كما لو كان هناك من يتحكم بها..

وقف (طارق) يتابع ما يحدث أمامه ، وعيناه تتسعان في دهشة بالغة غير مصدق ، والتفت إلى (فاوس) مُستوضحًا..

ابتسم العالم ثم هزّ رأسه في نشوة قائلاً :

- إنهم اختراع بسيط ، وهم مجهزون بأسلحة لم يتوصل إليها عقلكم بعد .

تراصت الجنود /الدمى أمامهما في سرعة ، وفي هذه المرة كان (فاوس) في المقدمة يتبعه (طارق) في ذهول استحوذ على عقله ولكنه كان يشعر إنه قد فاز بحليف قوي ..أقوى مما كان يتخيل ..

ولم تكد تمضي دقيقة حتى اشتعلت ممرات السفينة الفضائية كلها ، جنود السفينة الأم لا يعرفون ماذا يُقاتلون بالضبط ، و (دمي) (فاوس) تشق الطريق بينهم في سرعة هائلة وبلا هوادة والنيران كالسيل الدافق..

احتمى (طارق) بأحد أعمدة السفينة ، وأخذ يطلق نيران مدفعه الليزري

تجاه أعداءه ، وهو يحاول أن يتجنب السيل المنهمر من الأشعة من جنود السفينة ، تساقط الكثيرين حوله ، وكان هتاف قائد السفينة لا يتوقف عن القاء الأوامر لرجاله بإطلاق النار والقتال إلى آخر نفس ، والرجال تتساقط حوله كالذباب .. فهو قتال حتى الموت !

تلقى (طارق) رسالة من (سعد) أن (رأفت) أصيب في ساقه عند تبادلهما لإطلاق النار مع جنود السفينة ..

نقل (طارق) نص الرسالة لـ (فاوس) الذي قال في حزم :

ـ قل لهما أن يلزما مكانهما .. فسنصل إليهما عما قليل .

صرخ (سعد) خلال الناقل السمعي :

ـ لا أستطيع أن أظل في مكاني ، إننا نواجه عددًا كبيرًا من الجنود ، سوف أحاول أن أشق طريقًا بينهم لأصل إلى الحجرة الطبية ، لابد من اسعاف (رأفت) بأي طريقة .

قال (طارق) في اعتداد وهو يواصل إطلاق ذخيرته :

ـ سنحاول أن نصل إليكم في أقصى سرعة ممكنة .. حاولا الانسحاب.

أتاه صوت (رأفت) ضعيفًا عبر الناقل السمعي وهو يقول :

ـ لا وقت للحديث.. سنُقاتل إلى آخر نفس في صدورنا .. لن نسمح لهم بهزيمتنا الآن .

كان (فاوس) يسمع الحديث الدائر وهو يواصل معركته ، لقد كون أمامه درعًا من الأشعة التي يطلقها جنوده،يصعب اختراقها ، تساقط الكثير من جنوده ، ولكن الباقين لم يتوقفوا عن إطلاق أشعتهم ..

وبعد بُرهة جاء صوت (مروة) وهي تقول :

ـ لقد سيطرنا على المنطقة الوسطى من السفينة .. ونحن في طريقنا لحماية باقي أفراد الفريق .

هنأها (طارق) قائلاً :
- أحسنتِ يا عزيزتي ولكن أسرعي ، فالرجال يتلقون مقاومة شرسة من المنطقة القريبة من الغرفة الطبية .. و (رأفت) أصيب بشدة .
أجابته (مروة) عبر الناقل السمعي :
- لقد تلقينا الأمر ونحن في طريقنا للتنفيذ .
شق جنود (فاوس) الطريق بأسلحتهم الفائقة وراح أفراد طاقم السفينة الأم يتساقطون كل ثانية ..لقد إشتعل أتون المعركة ، وراحت النيران تتأجج في أماكن متفرقة من أجزاء المركبة الأم ..
بعد دقيقة جاء صوت (مروة) هاتفًا:
- لقد انضممنا لباقي أفراد الفريق ، ونحن نتلقى هجومًا بالغ الخطورة والشدّة .. سنُقاوم قدر استطاعتنا ..
قال (طارق) ناقلاً إليها رسالته :
- ظلي بجوار (سعد) بينما على (راجح) أن ينقل (رأفت) بسرعة إلى الغرفة الطبية .
جاءه هذه المرة صوت (راجح) قائلاً :
- إنه يرفض الانسحاب وهو يقاتل ببسالة نادرة ، لقد تلقى طلقة أخرى في كتفه الأيسر ،ولكنه مازال مُصرًا على القتال .
زعق (طارق) في شدة وهو يطلق مسدسه على أحد الجنود :
- نفذوا الأمر ، واسحبه بالقوة أن أمكن إلى الغرفة الطبية .. هل تفهم؟
رد (رأفت) خلال الناقل السمعي :
- أنا لن أترك مكاني حتى تنتهي المعركة .
صرخ (طارق) فيه كأنه يراه أمامه مُوبِّخًا:
- لا داعي للمُكابرة والعناد نفذ ما أمرت به حالاً ، هل تفهم؟.. حالاً .

الممرات كلها مشتعلة وأجهزة الإطفاء الآلية تواصل عملها بإغراق الممرات بالمياه ، وقائد السفينة في حالة ذهول من شدة المعركة غير المتوقعة ، والرجال تركض عبر ممرات السفينة الأم في سرعة وذهول .. والانفجارات هائلة ..

أدرك قائد السفينة أن المعركة أكبر مما كان يتخيل، فأمر رجاله بالانسحاب والاحتماء بالغرف الجانبية للسفينة ، وكان عقله يشتعل بالأفكار ، إنه لا يدري أين تختفي القائدة (سوزان) في هذه اللحظة وفي ذلك الوقت العصيب القاتل ، ولكنه قرر أن يقاتل إلى النهاية..

سيموت شاهرًا سلاحه ..لن يتراجع أبدًا ..

قال (فاوس) وهو يتابع جنوده يتحركون في كل مكان بلا عائق:

- كم يروقني هذا القائد الذي يدير المعركة .. فهو مصرّ رغم خسارته الفادحة على القتال .. إنه يهاجم رغم ضعف قوته إلى الآن .

لم يتخيل(طارق) تلك السرعة الرهيبة التي تدور بها المعركة لذا قال:

- ولكنني أرى رجاله ينسحبون الآن.. إنهم يدلفون إلى الغرف الجانبية محاولين أن يفروا بأعمارهم ..

ثم أردف في ألم وعيناه متقدتان :

- كم أكره اراقة الدماء .. وكم أكره هذه المعركة .

ضحك (فاوس) في استمتاع وهو يهتف في سعادة عجيبة :

- ومن قال لك إننا نُريق الدماء ؟

صاح (طارق) في غضب :

- وما معنى ما يحدث الآن ؟..لا أظن أنها نزهة بالنسبة إليك !.

هزّ (فاوس) رأسه في لامبالاة وهو يقول :

إهدأ يا صديقي .. إن أسلحة رجالي لا تُسبّب الموت ، ولكنها ذات شحنة

كهربائية عالية تؤدي إلى إصابة الأفراد بالشلل وعدم القدرة على الحركة لمدة ليست بقصيرة .

تطلع إليه (طارق) ذاهلاً وهو يستطرد :

- بعد كل ما حدث لكوكبنا ، وبعد أنهار الدماء التي أريقت فيه دون داع وبغير سبب منطقي ، قررنا أن تكون كل أسلحتنا مسالمة لا تؤذي حشرة، إنها نوع من الأسلحة النظيفة التي أتمنى أن يعرفها كوكبكم في يوم ما .

مال (طارق) بجسده وتحسس نبض أحد جنود المركبة الملقى أمامه ثم أطلق ضحكة عالية غير مُصدّق وهو يهتف :

- كم أنتم شعب مظلوم يا سيّدي ، وإنني لأشاركك كل أمانيك أيضًا .

ولم تكد تمر ربع ساعة أرضية حتى أصبح معظم جنود السفينة الأم في حالة من الشلل التام ،على حين أمر (طارق) فريقه بالاستعداد للانضمام إليه ، وأن يظل (رأفت) تحت الرعاية الطبية .. ولم تمر برهة حتى كان أفراد الفريق يحتلون غرفة القيادة ..

بينما وقف قائد السفينة الأم أمامهم في حالة انكسار تام ، والحسرة على رجاله تنهش عقله .. فقد أعلن استسلامه التام لهم ، ولكن ما كان يؤلمه بحق تلك الهزيمة التي لم يتوقعها أبدًا ، وسؤال مُلّح يدور في عقله بلا اجابة ، أين كانت (سوزان) والحرب تدور داخل السفينة دون أن تُلقي إليها بالاً ؟ ..

أين ؟

***

(9)

أفاقت (سوزان) من إغماءتها وتطلعت حولها لثوان ، الغرفة خالية لا يوجد أحد معها ، هزّت رأسها بقوة تريد أن تطرد ذلك الوهن الذي سيطر على عقلها وجسدها ، الصور مهزوزة أمامها ،من الجليّ أنها تعرضت للتخدير..

مالت بجذعها جانبًا ، وحاولت أن تتحرك ، إنها مقيدة لا تستطيع الحركة .. حاولت أن تحرك يديها ، لم تستطع ، القيود شديدة .. لقد أحكموا وثاقها جيدًا ، مالت بجذعها جانبًا مرةً أخرى وهي تتطلع لأعلى ، ورأت بطرف عينيها جسد الدكتور (جوهر) وهو مسجى على الأريكة ومقيد هو الآخر ، صرخت في شدة وعنف ، زحفت على بطنها ببطء شديد ، اقتربت من الأريكة الملقى عليها جسد (جوهر) وعدلت من وضعها ، أسندت ظهرها للأريكة ثم مالت بجسدها جانبًا وهي تضم ركبتيها في شدة ، ضغطت على أسنانها والألم ينطلق من بين شفتيها هادرًا في غيظ ، وهي تحاول أن تمرر يديها من خلف ظهرها ، وضعت القيد الفولاذي أسفل قدميها ثم أمالت جسدها كله لتخرج قدميها من بين القيد ..

أخيرًا بعد محاولات عديدة استطاعت أن تضع يديها أمامها ، ولكنها لا تزال مقيدة ، سحبت بأطراف أصابعها دبوسًا صغيرًا من بين خصلات شعرها الذي التصقت أطرافه بوجنتيها إثر العرق الغزير الذي يتفصد عن جبينها ، ووضعته بين شفتيها مُحكِمة أسنانها عليه ،ثم وضعت يديها أمام رأس الدبوس وضغطت بأسنانها على مؤخرته ،فانطلق خيط رفيع من الأشعة يذيب القيد ، ولم تمر برهة حتى كانت يداها حُرّتَيْن ..

فركت يدها في شدة ، وراحت تفك القيد الذي يربط قدميها بنفس الطريقة وأخيرًا وقفت في منتصف الحجرة مُنتصبة القامة في شموخ واعتداد وأطلقت ضحكة ظافرة وهي تقول :

- أيظنون أنهم بهذا القيد سوف يشلون حركتي ؟!.. إنهم واهمون
وراحت ضحكاتها ترّن في الغرفة وهي تقترب من الكمبيوتر .. وتضغط أزرارًا عديدة قبل أن تظهر الصورة أمامها واضحة ..
اتسعت عيناها إلى آخر مدى وارتسم الغضب على ملامحها في أبشع هيئة ممكنة ،وراحت تصرخ في عنف وهي ترى جنودها مطروحين أرضًا على ممرات السفينة وجوانبها وحملقت جيدًا في الصورة إنها لا ترى أثرًا لكثير من الدماء ، ثم أمرت بنقل صورة مركز القيادة ، وكادت دقات قلبها أن تتوقف وهي تحدّق في الصور أمامها ، لقد استولى أفراد الفريق على حجرة القيادة ، وبرقت عيناها بالكراهية والغضب وهي تهتف :
- يا للعنة ! لقد فازوا بمعركتهم هذه المرة أيضًا..
وشعرت بدوار مفاجئ فإستندت إلى حائط الغرفة وهي تقول في صوت متحشرج :
- ولكنني أعدهم أنهم لم يفوزا بالحرب أبدًا .. أبدًا.
ثم شرعت في الضغط على أزرار الحاسب الآلي .. في سرعة ودقة متناهيتين ، وجاءها صوت الكمبيوتر الآلي بعد برهة رتيبًا وهو يقول :
- لقد تم تعجيل الانشطار النووي والقنبلة ستكون جاهزة للانفجار بعد ربع ساعة ، العداد الزمني على وضع صفر .. جاهز للتنفيذ.
أطلقت صرخة هستيرية هائلة وهي تضغط بأصبعها على الأزرار الجانبية ، وتتابعت صرخاتها والصوت الآلي يردد :
- لقد تم التنفيذ .. ولا مجال الآن للرجوع إلى الحالة (صفر) .
وأخيرًا هدأت صرخاتها وارتمت على الأريكة وهي تشعر بالانتصار الزائف، أبشع انتصار في الوجود ..
انتصار من أجله ضحت بحياتها .. بل ضحت بمجرّة كاملة شاهدت الدليل

الحي منذ دقائق على وجود حياة عاقلة بها ، بل حياة تفوقها ذكاءً وحنكة وتكنولوجيا ..

***

ظهر الذعر واضحًا على قائد السفينة عندما بدأت صفارة الإنذار تدق في عنف صارخ ، والإضاءة تتلون داخل القاعة من الأحمر إلى الأصفر في تتابع بطئ ..

تراجع بظهره واتسعت حدقتا عيناه وراح يحملق في أفراد الفريق في فزع ثم صرخ فيهم فجأة :

- *أنتم مجانين .. أنتم مجانين .. أنتم مجانين ..*

تشبث (طارق) بذراعه بينما وضع (فاوس) يده على رأسه وهو يقول :

- انتبه يا رجل .. لسنا نحن من فعلها .

ظهر الارتياع على وجه القائد وهو يقول :

- إذًا أنت تعرف ما يحدث ؟

ربت (سعد) على كتف القائد وهو يقول :

- كلنا نعلم .. وليس من الآن بل منذ وقت سابق و..

وأكملت (مروة) عبارته قائلة :

- لذا هاجمنا السفينة بتلك الصورة ..

شردت نظرات القائد بينهم وهو يصيح :

- إذًا من فعلها ؟

أجابه (طارق) في اعتداد :

- قائدتك هي من فعلتها يا رجل .. هل تفهم ؟

حدق فيه القائد غير مصدق ثم قال :

- مستحيل ! .. مستحيل !

قال (راجح) في ثقة :

- بل المستحيل بالنسبة لها أن تسمح لنا بالنصر ، وأن ترى هزيمتها تحدث هكذا.. بتلك الصورة .

قال القائد وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة بالغة :

- ولكن هذا معناه الدمار الشامل للجميع .

هزّ (طارق) رأسه وهو يقول :

- لذا علينا أن نسرع في التحرك وبأقصى سرعة ممكنة .

قال القائد والشحوب يعتلي وجهه :

- نسرع إلى أين ؟ إننا نحمل أقوى قوة تدميرية في الكون ، والإشارات من حولنا تقول أنه ليس أمامنا سوى ربع الساعة وسيحدث الانفجار ، الانفجار قد يطيح بتلك المجموعة النجمية كلها ، فإلى أين سنهرب ؟!

ظهر شبح ابتسامة على شفتي (فاوس) وهو يجيبه في بساطه :

- لقد أعددنا خطتنا لكل شئ ، والآن حتى لا نضيع المزيد من الوقت.. أأنت معنا أم ماذا ؟

أجاب القائد في خفوت :

- معكم بالطبع ، بكل تأكيد معكم .

ربت (راجح) على كتفه وهو يقول :

- هكذا يظهر معدن الرجال وقت الشدة ..

أشار القائد إلى مجموعة رجاله الباقين أمامه في حالة تسمح لهم بالتحرك، بالعمل على سرعة إعداد السفينة للتحرك ، وعكف (سعد) على مساعدة قائد السفينة ، الذي أخذ يتطلع حوله في ذهول وترقب وصفارة الإنذار تدق بكل عنف ، بينما لانت ملامح أفراد الفريق كأنهم يعلمون جيدًا ما يفعلون.

لم تمر دقيقتان ، حتى أخذت السفينة الأم تتحرك ، مغادرة أرض الكـوكـب

(لورنز) وعلى متنها أفراد الفريق ، كانت سرعة المغادرة تدل على مدى خطورة الوضع داخل السفينة ، وبعد برهة قليلة قام (فاوس) بإفاقة أفراد السفينة وجنودها ، الذين أتى لهم الأمر مباشر من قائدهم بالعمل بأقصى سرعة ممكنة من أجل الفرار من مصير رهيب ..

وبذل الرجال أقصى ما لديهم من جهد للتخلص من حالة الإرهاق التي تسيطر عليهم ، وانطلقت السفينة الأم بأقصى سرعة، وعدادات المحركات النووية تعمل بأقصى قوة ، بينما هناك عداد آخر يعمل في اتجاه الموت ..

عداد الموت الذي أعدته (سوزان) للعمل ..

كان أفراد الفريق قد استعدوا مسبقًا لمثل هذه الخطوة ، ولكنهم لم يتصوروا أن يتم الأمر كله بتلك السرعة المفزعة ..

كانت (سوزان) داخل غرفتها تتحرك كالمجنونة ، لا تستطيع أن تخرج من غرفتها لقد أحكموا إغلاق الغرفة عليها وخربوا الرتاج الآلي لها فأصبح من المستحيل أن تخرج دون مساعدة تأتي من الخارج ، ذرعت الغرفة جيئة وذهابًا عدة مرات والغضب يملؤها ويشل تفكيرها ، ولكنها كانت تشعر بفوز زائف ، فهم لن ينجوا أبدًا مهما حاولوا ، كان هذا الشعور بالفوز يملؤها غبطة مجنونة ، لقد استمعت إلى قائد السفينة وهو يعطي أوامره للرجال بعدم أطاعة أي أمر لها مهما كان واعتبراها متمردة داخل سفينة إمبراطورية ..

لا يهم كل ذلك لا يهم ، المهم بالنسبة لها أن يموت أفراد الفريق جميعًا.. وهذا ما تدرك أنهم في طريقهم إليه بالفعل .. لذا هدأت قليلاً .. وارتمت بعد برهة من التحرك القلق على الأريكة .. وأخرجت علبة سجائرها وأخذت تدخن في شراهة وتلذذ بشع ، وهي تطلق ضحكاتها الجنونية مع أنفاس سيجارتها ..

***

أظهر (فاوس) من حقيبته خريطة ضوئية خاصة نشرها أمام أفراد الفريق،

وحدد لهم عدة نقاط عليها وهو يشرح خطته التي أستوعبها الفريق

وبعد مدة قصيرة داخل غرفة القيادة ، اقترب قائدها من أفراد الفريق وقال في قلق :

- هناك مركبة فضائية تتبعنا عن كثب .

قال (طارق) في هدوء واعتداد :

- إنها السفينة (صقر) سفينتنا لا تهتم .

ظهرت الدهشة على وجه القائد وهو يقول :

- ولماذا تتبعنا تلك السفينة ؟.

أجابته (مروة) في تحد :

- إنها سفينة الإجلاء ..سفينة الطوارئ .

هزّ القائد رأسه غير فاهم ثم قال :

- إذا كان ذلك الأمر يخصكم، فهو صحيح بكل تأكيد .

ربت (سعد) على كتف القائد الذي أبتعد ليحتل مكانه أمام شاشات الحركة فكّر (سعد) أنه من الواضح أن الرجل استسلم لواقعه تمامًا.

انطلقت السفينة الأم عبر الفضاء في سرعة رهيبة وأزيز محركاتها النووي يهدر في عنف شديد ، وكان جميع أفراد الطاقم في حالة قلق عنيف فهم يحملون أقوى أسلحة الدمار ، يهربون ولكن لا يعرفون حقيقة هذا الهروب ..

لمعت نجوم المجرة (هيرموسيس) والسفينة تنهب الفضاء في سرعة تتجاوز الحد إلى عمق الكون حيث تلك النقطة الفضائية التي حددها (فاوس) على خريطته المجسمة ..

الرجال يتحركون في قلق زائد واضطراب عنيف ..

والسدم تتابع أمامهم على الشاشة الإلكترونية ، إنهم ينطلقون الآن بقوة أسرع ، لقد التحمت بهم المركبة (صقر) وأصبحت تمثل قوة دفع رهيبة ، لم

يدر قائد السفينة أي وقود نووي تستخدمه المركبة (صقر) ومن الذي يقودها، ولكن المدهش حقًا أن الذي كان يقود المركبة (صقر) هو إمبراطور الكوكب (لورنز) نفسه ..

وبدت الرحلة لا نهاية لها ، والوقت يمضي في سرعة رهيبة ، والعدّاد الزمني يتحرك في سرعة بالغة ، لم تمر برهة من الوقت والسفينة الأم تقطع الفضاء في تلك السرعة المذهلة ..

حتى قال (طارق) بعد أن مال جانبًا بالعالِم (فاوس) :

- الآن أيها القائد ، مر رجالك بالتحرك إلى منطقة الارتباط بالمركبة (صقر) وسرعة الخروج من السفينة الأم ، وعندما ينتهي رجالك من العبور إلى المركبة (صقر) إنضم أنت إليهم بدورك .

رد القائد في سرعة :

- ولكنني أبغي أن أكون معكم إلى نهاية الرحلة .

- ابتسم (فاوس) وقال له مُشجعًا :

- لقد أديت ما عليك يا رجل .. وكنت رجلاً عاقلاً.. لذا نفذ ما يأمرك به القائد (طارق) .

قال القائد في سرعة :

- لكم هذا.. فإلى الآن لا أرى منكم سوى حسن النوايا .

قطع أفراد طاقم السفينة الأم الممر الموصل إلى المركبة (صقر) ، واستقبلهم بداخلها أفراد من الأمن الخاص للإمبراطور واصطحبوهم إلى غرف خاصة أعدت لهم ، إمتثل الرجال لأوامر أفراد الأمن الإمبراطوري فقد كان ذلك هو الحل الوحيد أمامهم ..

ومرت برهة من الوقت أنضم بعدها قائدهم لهم ، وتم اصطحابه بالمثل إلى غرفة خاصة به ، لم يكن عقل القائد يستوعب كل ما يجرى ولكنه كان يشعر

بالإطمئنان.

بعد فترة الإجلاء لأفراد طاقم السفينة الأم التي مرت بهدوء وسرعة ، تلقت (طارق) حوله وتفحص وجوه رجاله الذين بدأ الجدّ واضحًا على قسماتهم ، والتحفز يظهر جليًا على تصرفاتهم .

وأخيرًا قال (طارق) مُتسائلاً :

- أمازال أمامنا الكثير ؟

ابتسم العالم (فاوس) وقال بجدية :

- أقل من دقيقة ونصبح أمام الكتلة السوداء .

كان أفراد فريق (طارق) إلى الآن لا يعرفون حقًا ما هي تلك الكتلة السوداء الذي ينبغي الوصول إليها وبأقصى سرعة ، ولكنها بدت لهم الحل الوحيد لمشكلتهم ، عقد (طارق) حاجبيه وهو يرى بعد دقيقة واحدة تلك الكتلة السوداء ، إنه لم يتصور في حياته أن يرى تلك المساحة من الفضاء بذلك اللون الأسود ..

أنه سواد غريب لا تستطيع أن تصفه كلون ، فقط تدرك أن أمامك شيئًا غامضًا ، أظلمت شاشة الرؤية أمامهم وأصبح الفضاء من حولهم كأنه لم يكن.. لا نجوم .. لا سدم .. لا مذنبات مضيئة ..

لا شيء سوى العدم،و ظلام كوني رهيب لا حد له !

تشبث (راجح) بمقعده وهو يرد في ذهول :

- ما هذا ؟. لم أشهد شيئًا كهذا من قبل !.

قالت (مروة) بصوت هامس مضطرب :

- أظن أنه أحد الثقوب السوداء.. أو بالأصح كل الثقوب السوداء تجمعت في مكان واحد .

قال (فاوس) بسرعة :

- الآن يجب أن تغادروا أنتم أيضًا تلك السفينة .

قال (طارق) بتؤدة :

- ولكننا لا نستطيع أن نتركك وحدك .

- يجب أن ترحلوا الآن وفورًا ، وسأقوم أنا بقيادة تلك السفينة إلى الكتلة السوداء .. هذا هو الحل البديل .

تطلعت إليه (مروة) للحظة شردت فيها ، ثم هزّت رأسها في قوة وهي تقول :

- ولكنها معركتنا أيضًا ، ويجب أن نظل بها إلى النهاية .

حملق فيها (فاوس) دهشًا وهو يقول :

- لا أحد يذهب إلى الكتلة السوداء ويعود !.. إرحلوا فورًا .

انتبه (رأفت)- الذي تماثل للشفاء وانضم إليهم منذ قليل - إلى شئ ما فقال في سرعة :

- (سوزان) والدكتور (جوهر) .

صرخ (فاوس) فيهم :

- خذوا الجميع معكم .. لا تتركوا أحدًا على متن تلك السفينة .. والآن تحركوا .

أشار لهم (طارق) أن ينفذوا الأمر .. تحرك الجميع .. تقابلت النظرات.. ربتت (مروة) على كتف (رأفت) وهي تقول في دهشة :

- أمازلت تحبها رغم كل ما حدث ؟

قال (رأفت) في صوت هادئ :

- مستحيل بالطبع ، ولكنني أرفض أن أتركها تموت هكذا رغم كل شئ .

فرك (سعد) يديه وهو يقول بصوت رزين :

- إن لك قلبًا من ذهب يا صديقي .

راحت دوامة رهيبة تظهر أمام أفراد الفريق وهم يقطعون الممر المؤدي للمركبة(صقر) ..داكنة لا تستطيع أن تحدد عمقها أو مداها.

جاء الأمر لـ (راجح) بالتحرك إلى غرفة (سوزان) واصطحابها هي والدكتور (جوهر) إلى المركبة (صقر) ..

كانت (سوزان) داخل غرفتها تتابع عبر شاشات الحاسب الضوئي ما يجرى ، لم تفهم سر ذلك الظلام الذي أحاط بالمركبة ، ارتعدت فرائصها وهي تتصور تلك النهاية وتساءلت عما إن كانت أخطأت في حق نفسها بتنفيذ تلك الخطة المجنونة ؟..

ولكن العدّاد الزمني يشير إلى أن المُدّة لم تنقض بعد ، إذًا ما سر ذلك الظلام المطبق؟ ..

قطع تساؤلها اهتزاز باب الغرفة ، وقفت متنمّرة للدفاع عن نفسها ..

بوغتت عندما رأت (سعدًا) أمامها ، إقترب منها فحاولت ركله في أنفه لكنه تفاداها ، ثم ضم يديها بين يديه، وحملها كطفل صغير على كتفه بينما تقدمهما الدكتور (جوهر) بإشارة من سلاح (سعد) ، وهو يقاوم ليحتفظ بتوازنه ، بعد غيبوبة المخدر.

أخذت (سوزان) تقاوم (سعد) وهو يسير بها عبر ممرات السفينة في سرعة ،دون جدوى.. فقد كانت يداه ككلابتين من الفولاذ الصلد .

وأخيرًا أحتل أفراد الفريق المركبة (صقر) ، واتت الأوامر بالانفصال عن المركبة الأم والابتعاد بأقصى سرعة ممكنة ..

كان كل شيء يدور بسرعة رهيبة يصعب على أدق العقول استيعابها ،

المركبة (صقر) تهرب من الكتلة السوداء بينما تندفع السفينة الأم نحوها في سرعة فائقة يقودها العالم (فاوس) ، وابتعدت (صقر) وابتعدت ، ثم دوى الانفجار ، كان رهيبًا مُدهشًا فقد أضاء الانفجار الفضاء حولهم لمدة ليست

بقصيرة ، ظن أفراد الفريق أن الخطة فشلت عندما راحت (صقر) تهتز في عنف شديد والإضاءة تزداد وتزداد ، ثم بدأ الضوء يخفت تدريجيًا والمركبة تبتعد والاهتزازات تختفي وهدأ كل شيء بغتة كما بدأ بغتة .

مسح (طارق) دمعة فرّت من عينه ، فذلك الهدوء يعني أنهم نجحوا في معركتهم ، ولكنهم خسروا في سبيل ذلك العالم (فاوس) الذي كان له الفائدة الكبرى في معركتهم والذي ضحى بنفسه من أجل المجرة (هيرموسيس)، ومن أجلهم أيضًا..

تلاقت نظرات الفريق ، ظهر الحزن جليًا في عيونهم ، وتسمروا في أماكنهم لمدة ليست بقصيرة ، وهم يتابعون ابتعادهم عن الكتلة السوداء وذلك التجمع الرهيب للثقوب السوداء لقد حققوا النصر ، ولكنهم فقدوا صديقًا أحبوه بصدق وعفويه .

***

(10)

أخذت المركبة (صقر) تشق طريقها خلال الفضاء بسرعة تفوق أي وصف ، حتى اقتربت من الكوكب (لورنز) وجاء الأمر بالسماح لها بالهبوط، كان (الإمبراطور) يقود السفينة الفضائية بمنتهى الحِنكة والدراية ، أخذت سرعة المركبة تهدأ تدريجيًا وهي في طريقها للهبوط على سطح الكوكب ..

وعندما أصبحت السفينة الفضائية على بعد قريب من سطح الكوكب أنشق باطنه بغتة ، وظهر أمام الفريق الكوكب وكأنه أنقسم إلى نصفين .. واختفى جزء كبير من المحيط المتجمد ، هكذا إذًا أخفوا السفينة (صقر) في البداية ..

وضحك (طارق) وهو يرى ذلك المهبط الفضائي الذي أُعِدّ لاستقبالهم، وتساءل بينه وبين نفسه ، إلى متى سيظل هذا الكوكب يخفي مفاجآته عنا؟وكم من مفاجآت خاصة أخفاها ؟

أخذت سرعة السفينة في النقصان وهي تقترب من المهبط الفضائي ، وبعد مُدّة يسيرة استقرت السفينة (صقر) على أرضية المهبط الفضائي الرهيب ..

أخذت أبوابها تفتح بالتتابع ، هبط (الإمبراطور) في أوّل الأمر ، فانهالت عليه عبارات الترحيب والهتافات المدوية ، تريث أفراد الفريق قليلاً وهم يهبطون وقد أشرقت ملامحهم بالفرح والتفاؤل ..

كانت هناك لجنة خاصة أعدت لاستقبالهم ، لجنة من الوزراء والقادة الذين ظهر البشر على وجوههم وهم يستقبلون (الإمبراطور) وأتباعه ..

تبادل الجميع عبارات التهنئة والفوز،ثم أشار لهم(الإمبراطور) بالتحرك

إقترب موكب من السيارات الذريّة من مكان الهبوط ، وأسرع أفراد الفريق بالركوب وهم يتلقون الورود والبسمات من الجميع بلا استثناء .. قطعت السيارات الممرات الأرضية للكوكب (لورنز) في سرعة مدهشة ، واستقرت أخيرًا أمام القصر الملكي الخاص لـ (إمبراطور) ، الذي استقرت سيارته أمام

البوابة الرئيسية له ، ثم هبط منها بتؤدة وهو يلقي التحية على معاونيه ، ووقف بنفسه لاستقبال أفراد الفريق..

ابتسم (الإمبراطور) وقد اتسعت عيناه الذهبيتان وهو يقول :

- لقد أعددنا لكم حفلاً فخمًا ، يليق باحتفال النصر .

أومأ (طارق) برأسه قائلاً :

- لكم أسعدني أن أكون بصحبتك في هذه المعركة .

التفت (الإمبراطور) ونظر إليه قائلاً :

- لقد كان لكم الفضل الأكبر في النصر ، لذا يجب أن تُعاملوا كأبطال .

قالت (مروة) بصوت يموج بالفرح :

- لم أتخيل يومًا إنني سأرى كل هذا الترحيب من قِبَل سكان كوكب آخر.

قال (الإمبراطور) ببطء :

- إنكم تستحقون الترحيب وأكثر ، والآن هلمَّ بنا إلى الحفل .

تقدم (الإمبراطور) وحاشيته وتبعهم أفراد الفريق وهم يطيرون فرحًا من هذا الاستقبال المهيب ودلفوا إلى قاعة الاحتفالات ، كان كل ما في القاعة يلمع ويبعث نوعًا من الطمأنينة والتفاؤل في القلوب ..

الثُريّات الضخمة معلقة تصدر أضواء فسفورية لامعة ، والمقاعد تضوي بضوء هادئ يجعلك تشعر بالارتياح ، والموسيقى تصدح في المكان بأعذب الألحان .. كان الجميع في قمة النشوة والفرح ..

إحتل (الإمبراطور) مقعده في صدر القاعة ، ثم أشارَ لأفراد الفريق للجلوس من حوله .. ومتابعة الحفل .. وتصاعدت الألحان .. وتبادل سكان الكوكب الرقص في هدوء ممتع ..

كان الشعور الوحيد المسيطر على تلك القاعة الرهيبة هو الفرح بالنصر .. لذا كانت المشاعر متأججة إلى أقصى درجة ..

جلس أفراد الفريق يتابعون الحفل في مرح طفولي ، وبدى واضحًا أنهم أخذوا مكانة خاصة لدى سكان الكوكب (لورنز) ..

وبعد فترة أشار (الإمبراطور) للموسيقى أن تتوقف .. فتوقفت بغتة.. وقف (الإمبراطور) فتطلعت إليه العيون ، وهو يقول في انفعال جارف :

-" لقد حققنا نصرًا مستحقًا ، واستطعنا أن ننقذ كوكبنا من خطر داهم كاد أن يهلكنا جميعًا ، ولكن الفضل الأكبر لأصدقائنا من كوكب الأرض ، لذا قررنا أن نمنحهم (وسام الإمبراطورية) لما قدموه لنا من تعاون" .

دوت الهتافات وإرتفع التصفيق وارتجت القاعة بالأصوات العالية ..

اقترب (الإمبراطور) من (طارق) الذي وقف أمامه بثبات وهو يقلده (وسام الإمبراطورية) والتصفيق يدوي في المكان والهتافات تتعالى ،

ثم اتسعت عينا(طارق)بغتة،ووقفت(مروة) فاغرة الفاه وتشبث (راجح) بمقعده وضحك(رأفت) بصوت عالٍ مدوٍ وهب (سعد) واقفًا في دهشة ..

كانوا يرون آخر من يتوقعون ظهوره الآن ، إقترب ذلك الشخص من (الإمبراطور) وانحنى أمامه في تؤدة ، بينما مال (الإمبراطور) عليه وربّت على كتفه وهو يقول بصوت عال :

- والآن يا سكان كوكبي ، إنني امنح العالِم (فاوس) أرفع أوسمة الكوكب ، وأعدّه ليكون وزيري الخاص وحامل أختامي .

زادت الهتافات وارتفع الدويّ ،وظل (طارق) يُردّد :

- كيف ؟.. كيف ؟

انفجر (فاوس) من الضحك وقال :

- لكَم يُدهشني ذلك التعبير على وجهك يا سيدي !

قال (رأفت) بهدوء :

- ولكن كيف نجوت ؟

وتابعت (مروة) في سرعة :

- ألم تقل ألاّ أحد يستطيع أن ينجو من الكتلة السوداء ؟

قال (سعد):

- كان لديك وسيلة للهروب .. أليس كذلك ؟

نظر إليهم (فاوس) نظرة غريبة وهو يقول :

- مهلاً يا أصدقائي ..مهلاً .. إنني لم أذهب إلى الكتلة السوداء ...

قاطعه (طارق) قائلاً :

- كلنا رأيناك تدخل بالسفينة الأم إلى قلب الثقوب السوداء !

- منذ لحظة قلت ليس كل ما تراه حقيقة يا صديقي .

صاحت (مروة) في انفعال :

- إذًا أين الحقيقة ؟

- الحقيقة أنني غادرت السفينة قبل أن تدلف إلى الكتلة السوداء بثوان.

ابتسم (الإمبراطور) وقال بفخر :

- إن العالم (فاوس)أبرع العلماء على كوكبي ، سأخبركم كيف استطاع الفرار ، منذ سنوات و(فاوس)عاكف على دراسة للنقل الزمكاني ، دراسة أخذت من عمره الكثير ، وفي النهاية إستطاع أن يتوصل لجهاز نقل خاص يقوم بمهمة النقل عبر الزمان و المكان في آن واحد ، لذلك عندما اقتربت المركبة الأرضية من الكتلة السوداء وتأكد (فاوس) أنه بذلك تخلص من خطرها ، غادر السفينة متبعًا تلك الطريقة، وربما يكون قد وصل إلى الكوكب (لورنز) قبل أن نهبط نحن عليه .

- هذا صحيح .. فأنا من أعدَّ هذا الحفل لاستقبالكم .

قال (طارق) في انفعال :

- ولماذا لم تقل لنا هذا في السفينة الأم ؟.. لماذا ؟

ضحك (الإمبراطور) وهو يقول :

- لهذا السبب الذي نراه يظهر جليًا في عينيك ، إن العالِم(فاوس) يرغب دائمًا في مفاجأة الآخرين ، ويطمع دائمًا في عبارات الدهشة والتساؤل، تلك طبيعة لا نستطيع تغييرها فيه، لكنها غير مؤذية بالمرة .

قالت (مروة) في تحدٍّ :

- من قال هذا؟..الجهل بالشيء قد يؤذي..ربما أكثر مما تتصور.

ضحك (الإمبراطور) وقال :

- دعونا من كل هذا الآن .. ولنستمتع بالحفل .

ردد (طارق) في هدوء :

- ليكن .. ولكم أسعدني بقاء العالم (فاوس) على قيد الحياة رغم عدم إخباري بحقيقة الأمر قبل هذا .

تابع (سعد) قائلاً :

- نعم نحن سعداء بكل ما حدث في النهاية ..سعداء بحق .

وقالت (مروة) في رقة :

- لقد تلقينا منكم أحسن معاملة يمكن أن نتخيلها ، فالنصفح عن تلك الهفوة البسيطة ، فالعبقرية في أحيان كثيرة جنون .

هدأت انفعالات أفراد الفريق ، وراحوا يتابعون الحفل في استمتاع وتلذذ .. ومرت بهم الساعات وهم في قمة الارتياح والنشوة ..

ووقف العالم (فاوس) في نهاية الحفل وخاطب الفريق قائلاً :

- الآن يجب أن تستريحوا قليلاً ، فأنتم ضيوفنا ولكم ما تريدون .

وأشار العالم لبعض الخدم أن يذهبوا بأفراد الفريق إلى الغرف التي أعدت لهم ، استقر أفراد الفريق في غرفهم، وغرقوا في سُبات عميق..

***

الختام

تسلل الصباح وراحت أشعة الضوء تنشر ظلالها على القصر الإمبراطوري عندما استيقظ (طارق) وتطلع فيما حوله لدقيقة ، ثم قام وتناول عصيرًا كان بجوار فراشه ، شعر بعده بالانتعاش ، وانتهى من تناول إفطاره ..

بعد برهة وجد أحد الخدم يقف أمامه مُحيّيًا إياه في هدوء ثم قال :

- (الإمبراطور) يطلبك وهو مستعد لاستقبالك في القاعة الكبرى عندما تنتهي من الطعام .. ولقد سبقك إلى هناك جميع الأرضيين .

قام (طارق) وهو يقول للخادم :

- وأنا مستعد لتلك المقابلة وفورًا.

استدار الخادم وغادر الغرفة بهدوء وتبعه (طارق) في بساطه إلى أن وصلا إلى باب قاعة ضخم ، انحنى الخادم وأفسح الطريق بعد أن فتح باب القاعة ليدلف (طارق) إلى الداخل في تؤدة ، كان (الإمبراطور) يجلس على مقعده في صدر القاعة وقد إلتف حوله أفراد الفريق .

ابتسم (الإمبراطور) وهو يرى (طارق) داخلاً إليه ثم قال :

- أهلاً بك ، من الواضح أنك نمت أكثر من الآخرين .

ابتسم (طارق) بدوره وهو يقول :

- لقد كنت في أمَسّ الحاجة إلى النوم .

قال (الإمبراطور) بجدية :

- والآن ما القرار الذي اتخذته ؟ .. لقد تكلمت مع فريقك ، ولكنهم قالوا أن القرار لك والحديث معك يكفي ..فما قرارك ؟

تساءل (طارق) في دهشة حقيقية :

- أي قرار تقصد يا سيدي؟ .

هزّ (الإمبراطور) رأسه ثم قال :

- إنكم ضيوفنا بكل تأكيد .. ولكن ما نرغب في معرفته هل قررت البقاء على كوكبنا أم المغادرة ؟

قال (طارق) في جدية :

- للأسف سنضطر لمغادرة كوكبكم وبأسرع ما يكون .

دهش (الإمبراطور) وظهر عليه ذلك وهو يقول :

- وما سبب ذلك ؟

قال (طارق) في هدوء :

- هناك أمور مازالت مُعلقة على كوكبي ، ولابد من حسمها .. وهناك أيضًا مهمة خاصة علينا تنفيذها ومعرفة حقيقتها وبمنتهى السرعة .

قال (الإمبراطور) بعد فترة صمت :

- هل من الممكن أن أعرف نوعية هذه المهمة ؟

أضاف (طارق) في بساطة :

- إنها مشكلة خاصة بنا نحن ، لقد إكتشف أحد أفراد مجتمعي شيئًا خارجًا عن المألوف لذا يجب علينا معرفة حقيقة هذا الشئ وبسرعة .

رد (الإمبراطور) في ثقة :

- توقعت شيئًا كهذا .. لذا ستجدون منا كل معاونة تتوقعونها .

تريث (طارق) للحظة ثم قال :

- هذا ما كنا نتمناه بالفعل ، لذا فإنني أرغب في إحدى قنابلكم النظيفة التي واجهتم بها ذلك الخطر السابق الذي دهم كوكبكم .

نهض (الإمبراطور) عن مقعده واقترب من (طارق) وهو يقول :

- هل تدرك خطورة ما تطلب؟

أدرك (طارق) أنه أرتكب خطأ ما ، بينما تابع (الإمبراطور) قائلاً :

- ليس كل ما تراه حقيقة يا صديق ..إن لتلك القنبلة قوة عكسية مدمرة..

لقد قضت على الخطر حقيقة ، ولكنها في نفس الوقت قضت على معظم طبيعة كوكبنا ، لقد حولته إلى كوكب يستحيل الحياة عليه إلا بإمكانيات خاصة جدًا .. هل تفهم ؟

ابتلع (طارق) ريقه وقال :

- ولكنني مازلت أرغب في تلك القنبلة .

هزّ (الإمبراطور) رأسه قائلاً :

- نعم أنت ترغب ولكن هل تعرف خطرها ؟ ..لقد حوّلت كوكبي إلى كوكب متجمد ، بحاره كلها أصبحت متجمدة ، أرضه تحولت إلى قبر متجمد .. سنحتاج إلى مئات السنين لإرجاعه كما كان .. هل تدرك هذا ؟

قال (طارق) بهدوء :

- لقد توقعت شيئًا كهذا ، ولكنني مازلت مُصرًا على طلبي إن أمكن .

صمت (الإمبراطور) للحظة ثم قال :

- لك ما تطلب .. لقد ساعدتنا كثيرًا لذا سوف آمر بأن تحمل سفينتكم (صقر) بتلك القنبلة ، وهدية مني سوف تظل المحركات النيترونووية التي أضفتها إليها بها ، وستعطيكم سرعة لم تتخيلوها أبدًا.

هزّ (طارق) كتفيْه الصغيرين وقال :

- أشكرك يا سيدي كل هذا .. أشكرك .

إقترب (الإمبراطور) من (طارق) ومال عليه وربت على كتفه في هدوء ثم قال :

- بل شكرًا لك أنت يا سيدي الصغير .

وتلاقت الأيدي في سلام حار ..

سلام بين شخصيْن من عالميْن مختلفيْن ، ولكنه سلام محبة نادر .

***

انطلقت السفينة (صقر) تشق الفضاء وتخترق المَجرّات النجميّة في طريقها إلى كوكب الأرض بتلك السرعة الجديدة التي اكتسبتها بفضل المحركات البترونووية ،على حين وقف (طارق) في غرفة القيادة يلتف حول أفراد الفريق وقد هدأت ملامحهم واستراحوا إلى ما وصلوا إليه ،

بينما استقرت (سوزان) داخل سجن خاص في قاع السفينة (صقر) وغير بعيد عنها حُبسَ الدكتور (جوهر) ..

لقد حفر ذُل الهزيمة داخل نفس (سوزان) ذكرى لا يمكن محوها أبدًا. واشتعل كيانها حقدًا وكرهًا على (طارق) ومجموعته ..

بينما استسلم الدكتور (جوهر) لتلك الهزيمة- بل رحب بها- إذا كانت السبب في إنقاذ مجرة كاملة من الفناء .

تابع أفراد الفريق شاشات الراصد الفضائي التي تنقل لهم صور النجوم، التي ازدادت لمعانًا وبريقًا وكأنها استمدت نورًا آخر بجوار نورها، من ذلك الانتصار المُبهر لفريقنا .

كان ما يشغل عقل (طارق) هو تلك الآلة الزمنية العجيبة التي سمع بها من (سعد) عبر تلك الرسالة الخاصة التي تلقاها من أخيه التوأم وهذا العالم الأرضي الذي اكتشفها قبل زمنهم بألف سنه كاملة ، ربما كانت تلك هي مُغامرة أخرى تنتظرهم .

- بهذه السرعة سنصل إلى الأرض قبل يومين .

هكذا غمغمت (مروة) ،فقال (راجح):

- نعم فالسرعة الجديدة رهيبة بحق وتختصر الوقت بطريقة مدهشة .

قال (رأفت) بانفعال :

- لكَم أتمنى أن نكون الآن وسط أخواتنا لكي يشاركونا هذا الانتصار ، يا إلهي! لقد إنتصرنا على (الساده) أكثر من مرة ،و حصلنا منهم على (صقر)

و(سوزان) و(جوهر) ، وكسبنا من وراء ذلك أحد أهم أسلحة الكونْ.

ابتسم (طارق) وهو يجيب :

- أنسيت من أنا يا صديقي .. أنا لِصُّ الفضاء .

هزّ (رأفت) كتفه وهو يقول :

- بالطبع أنت لِصٌ .. لِصٌ نبيل يا صاح .

وتعالت الضحكات و (مروة) تهتف في انفعال :

- لص الفضاء .. يا لها من صفة ! ..سيكون هذا لقبك من الآن .

وتعالت الضحكات داخل (صقر) وهي تواصل انطلاقها نحو الأرض .

ضحكات الانتصار .

* * *

اصدارات دار ليلى للنشر و الإعلان

من الكتب :

قوس قزح	(قصص)	د.أحمد خالد توفيق- د.تامر إبراهيم
شيء من الحب	(رواية)	محمد فتحي
اسم الشهرة مستشفى	(كوميكس)	د.جراح علي الطبيخ
الموت و أشياء أخرى	(قصص)	أحمد رمضان
ماتستهليش	(غنائيات)	عبدالله شلبي
حرب اسمها ..ديساي	(رواية)	محمد إبراهيم صقر
إلى أميرة عربية	(شعر)	عبدالسلام بن إدريس
عالم الأحلام	(رواية فانتازية)	أحمد كمال الوكيل

تحت الطبع :

د.نبيل فاروق..ضد الحكومة!!	(كتاب حواري)	أ. محمد سامي
ضـــد الوطن	(رواية)	أ. محمد سامي
ســر القصر	(كوميكس)	د.تامر إبراهيم – وردة
أعد لها ما استطعت من الحزن	(شعر)	أنس عمار
الفارس المصري	(رواية)	دعاء حسين

السلاسل :

بدايات (1)	(قصص مشتركة)	وطن بين دفتي دفتر
أقلام شابة	(العدد التجريبي (1))	أركتايب
لص الفضاء	1- من أجل الأرض	أ.محمد إبراهيم
كوميك تون	1- ماتريكس	ف.طارق أبو عمر